

شارل دى جول

Charles Andre Joseph Marie DE GAULLE

٢٢ نوفمبر سنة ١٨٩٠ - ٩ نوفمبر سنة ١٩٧٠

مولده ونشأته :

ولد شارل أندريه جوزيف ماري دى جول بمدينة ليل بفرنسا فى اليوم الثانى والعشرين من شهر نوفمبر سنة ١٨٩٠ . والده هنرى دى جول كان أستاذاً للتاريخ بكلية كاثوليكية تابعة للآباء الجزويت ببواريس . والدته جان كارولين . لم تكن عائلته مترفة ولكن كانت عائلة بورجوازية تعيش عيشة متيسرة .

فى سنة ١٩٠٦ عندما نشأت الأزمة الحادة بين الكنيسة الكاثوليكية وحكومة الجمهورية فى فرنسا وتقرر فصل الكنيسة عن الدولة وقامت الحكومة بمصادرة أملاك الكنيسة وتلقى الجيش أمراً من الحكومة باخلاء الأديرة رفض عدد من الضباط إطاعة هذه الأوامر وقدموا استقالاتهم . كان المعهد الذى يعمل به والد دى جول ضمن المعاهد الدينية التى أغلقت فأصبح عاطلاً عن العمل ولكنه تمكن من أن يبعث بابنه شارل إلى بلجيكا ببلده « آنتوانج » - حيث أنتقل إليها الآباء الجزويت - لمواصلة دراسته .

أصبح أمل شارل دى جول - وهو الآن فى السابعة عشرة من عمره أن ينتظم فى صفوف الجيش ، إذ كان مشجعاً بصفتين منذ طفولته وهما حب النظام والاعتداد بالرأى ، كما عرف بصلافة أخلاقه وقوة شخصيته وتعلقه بوطنه وبحديثه عن عظمة الدولة الفرنسية .

فى سنة ١٠٩ تقدم شارل دى جول إلى مسابقة الالتحاق بالمدرسة العسكرية الخاصة « سان سير » ، كان ترتيبه بين المتقدمين الـ ١١٩ الأمر الذى لم يلفت الانظار . لم يتميز شارل دى جول حتى الآن بشيء ، بل كان طالباً كغيره من الطلاب الذين ينتمون إلى طبقة البورجوازية الصغيرة المتدينة ، كان محترماً للنظام الموضوع متطلعاً لخدمة الجيش ، ومن خلال

خدمته في الجيش خدمة بلاده وتحقيق أحلامه في الترقى في صفوف القوات المسلحة :

في أكتوبر سنة ١٩١٣ أصبح شارل دى جول ضابطاً برتبة ملازم بسلح المشاه تحت قيادة الكولونيل « فيليب بيتان » .

في سنة ١٩١٤ اغتيل ولى عهد النمسا في سيرايفو ، واشتد ضغط روسيا على فرنسا لكي تدخل الحرب ضد ألمانيا . كان رأى العام الفرنسى واثقاً من النصر ومطمئناً إلى أن الأمر لا يحتاج لأكثر من عبور نهر الراين ثم دخول برلين ، ولكن الضابط شارل دى جول أظهر تشاؤماً لقائده الكولونيل فيليب بيتان . ما أن بدأت الحرب حتى تفهقر الجيش الفرنسى أمام الزحف الألماني حتى نهر المارن ، وكانت كارثة عسكرية للجيش الفرنسى .

أشترك شارل دى جول في العمليات الحربية خلال الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) وجرح ثلاث مرات الأولى في ١٥ أغسطس سنة ١٩١٤ والثانية في ١٥ مارس سنة ١٩١٥ . وفي ٤ سبتمبر سنة ١٩١٥ رقى إلى رتبة كابتن . وفي ٢ مارس سنة ١٩١٦ وكانت موقعة « فردان » قد بدأت أبيدت الفصيلة التي كان يقودها الكابتن شارل دى جول وجرح للمرة الثالثة وأخذه الألمان أسيراً واعتبره قائده بأنه قد أبيد مع فصيلته فأبلغت عائلته بقتله . ظل شارل دى جول أسيراً بيد الألمان لمدة عامين حاول الفرار أثناءها خمس مرات ولم يوفق .

عندما وقعت الهدنة في ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨ وانتهت الحرب العالمية الأولى عاد شارل دى جول إلى عائلته من الأسر وكان لا يزال برتبة كابتن ، ورأى كيف أن أحوال فرنسا قد تغيرت ، التحق بفرقة المتطوعين التي كونت في فرنسا لتنضم إلى القوات البولندية التي كانت تحارب الجيش الأحمر الروسى وسافر إلى بولندا مع تلك الفرقة . بعد أن حارب دى جول في صفوف فرقة المتطوعين الفرنسيين وحصل على تقدير خاص من قائد الفرقة « الجنرال فيجان » وأنهت مهمة الفرقة عرض عليه أن يبقى في بولندا

كأستاذ للعلوم العسكرية في أكاديميتها العسكرية فقبل وظل يعمل بها حتى أكتوبر سنة ١٩٢١ - كان في ٧ أبريل سنة ١٩٢١ قد تزوج من الآنسة « ايفون فاندرو » وهى ابنة أحد أصحاب المصانع في مدينة كاليه بفرنسا ، عندما عاد دى جول إلى فرنسا نهائياً في أكتوبر سنة ١٩٢١ عين أستاذاً مساعداً للتاريخ بالكلية العسكرية « سان سير » .

تقدم الكابتن شارل دى جول لامتحان المسابقة للالتحاق بالأكاديمية الحربية العليا ، ومع تسليم لجنة الاختبار بأن له شخصية ممتازة ، ألا أنها تأخذ عليه كبرياءه فأرادت اللجنة أعطائه تقدير مقبول ، ولكن المارشال بيتان تدخل لدى اللجنة قائلاً بأن « الكابتن شارل دى جول هو أمل جيله » واتفق على أعطائه تقدير « جيد » . استشاط شارل دى جول غضباً وصاح بأعلى صوته « هذه ليست مدرسة حرب ، أننى لن أدخل هذه المدرسة الا قائداً لها ، وسترون أن كل شئ سيتغير فيها » . قبل شارل دى جول بالاكاديمية وانتظم بالدراسة وأكملها في يونيه سنة ١٩٢٤ وتخرج منها ثم عين بأركان حرب جيش الراين .

تولى أدولف هتلر السلطة في المانيا ورأى القومندان شارل دى جول في هذا التطور .

في سنة ١٩٢٥ عندما كان المارشال بيتان نائباً لرئيس المجلس الأعلى للحرب اختار الكابتن شارل دى جول للعمل في مكتبه ، وفي شتاء سنة ١٩٢٧ رقى إلى رتبة « قومندان » .

في سنة ١٩٢٩ أرسل القومندان شارل دى جول للعمل بهيئة أركان حرب القوات الفرنسية في الشرق ومركزها بيروت وبقى في عمله هذا حتى سنة ١٩٣١ .

في ٣٠ يناير سنة ١٩٣٣ دعا المارشال فون هند نيورج ، رئيس ألمانيا ، الهر أدولف هتلر لتشكيل حكومة في ألمانيا : كان ذلك حدثاً تاريخياً . ورغماً عن الاهتمام الذى أبداه الرأى العام الفرنسى لهذا التطور فلم يكن في فرنسا من يعتقد بأن هتلر سيستمر في الحكم طويلاً وأن أزمة ألمانيا ستعود

إلى الظهور بعد بضعة أشهر وسيذهب هتلر ، ولم يكن أحد من السياسيين الفرنسيين يقدر بأن تسلم هتلر لزام الحكم في ألمانيا سينتهى إلى القذف بألمانيا وسط الحديد والنار ومن بعدها أوروبا ثم العالم بأكمله .

بدأ هتلر حكمه في ألمانيا بمهاجمة الشيوعيين واليهود ثم الاشتراكيين الديمقراطيين وتصفية معارضيه إما بالنفى أو بالزج في معسكرات الاعتقال . ما أن حلت سنة ١٩٣٦ حتى كان هتلر قوة ضخمة تعمل كل دول أوروبا حساباً كبيراً لها . كان العالم يستمع إلى خطب هتلر وتهديداته المتواليه . كانت الدول الديمقراطية تستمع إلى تلك الخطب وتلك التهديدات وتعلم بأن خطر الحرب داهم ، ولكنها لا تحرك ساكناً . كانت بعض الصحف الفرنسية تطلق على هتلر لقب زعيم القتل الفاشست . كان القومندان شارل دي جول قد أصدر في سنة ١٩٣٤ كتاباً في ١٣٧ صفحة شرح فيه ما يعتقد من احتمال قيام حرب عالمية ثانية ونادى بضرورة تكوين جيش مهني إذ أنه لا فائدة من تكوين جيش من المجندين أو من المتطوعين بعد أن تطورت نظريات الحرب وادخلت الأسلحة الجديدة التي تعتمد على القوة المحركة مثل الدبابات والعربات المصفحة والمدافع المنقولة سريعة الحركة وغيرها من فنون الحرب الحديثة التي أصبحت حروب حركة وليست حروب خنادق . قال دي جول في كتابه هذا بأن هناك تعارضاً بين أسلوب تكوين الجيوش الميكانيكية الحديثة وأسلوب التجنيد القائم أساساً على الخدمة العسكرية المحددة المدة ، وأن جيشاً مكوناً بهذا الأسلوب لا يمكنه الصمود أمام جيش مكون من جنود محترفين تدربوا على أثنان استعمال الأسلحة الحديثة على مدى عدة سنوات . لم يأبه الجنرالات الفرنسيون برأى دي جول في الوقت الذي كان هتلر يطبقه على نطاق واسع وبدأت هيئة أركان حرب الجيش الفرنسي بناء خط دفاع على حدود فرنسا مع ألمانيا عرف فيما بعد بخط « ماجينو » .

في ١٦ مارس سنة ١٩٣٥ قام الزعيم الفرنسي « بول رينو » بمهاجمة سياسة الحكومة العسكرية في البرلمان الفرنسي وقال بأن ألمانيا تعد العدة لحرب

مستقبلها وأنها تعدها لأن تكون حرباً خاطفة ، وهي تعد لذلك أيضاً سلاح طيران وأسلحة حديثة وطالب الحكومة بأن تعد قوة عسكرية ضاربة قادرة على التحرك السريع للدفاع والتحرك السريع للهجوم ، وإلا فإنها ستكون حرباً خاسرة من ابتدائها ، لم يكتف بول رينو بذلك بل هاجم الاشتراكيين الفرنسيين مبدئياً دهشته من أن زعيمهم « ليون بلوم » يؤيد نظرية إنشاء جيش دفاعي فقط .

كان كلام « بول رينو » صدى لنظرية شارل دي جول ولكن أحداً لم يستمع إليها فقد كانت الأزمة الاقتصادية تأخذ بخناق فرنسا وكان عدد المتعطلين فيها يزداد كل يوم بعد أن أصبحت كثير من مصادر الإنتاج على حافة الافلاس . كانت أضرابات العمال تزيد الحالة تفاقماً وانقسم الشعب الفرنسي إلى معسكرين ، معسكر أقصى اليمين يبدى إعجابه بهتلر وما يحققه من أنجازات في ألمانيا ومعسكر أقصى اليسار ويداعب خياله قيام ثورة اجتماعية في فرنسا .

في ربيع سنة ١٩٣٦ أجريت انتخابات تشريعية أسفرت عن أغلبية « للجبهة الشعبية » بزعامة ليون بلوم الذي أصبح رئيساً للحكومة . لم يحقق ليون بلوم شيئاً هاماً رغمًا عما كانت تعلقه عليه الطبقة العاملة في فرنسا من آمال عريضة .

هتلر يبدأ سياسة التوسع في أوروبا :

في ٧ مارس سنة ١٩٣٦ ، وقبل أن يتولى ليون بلوم رئاسة الحكومة في فرنسا ببضعة أشهر ، قام هتلر باحتلال منطقة الـ « راينلاند » دون اعتبار للاتفاقيات الدولية المعقودة فلم تحرك بريطانيا ولا فرنسا ساكنها . كان سياسيو أوروبا يدركون بأن الخطوة التالية لهتلر هي احتلال النمسا ثم تشيكوسلوفاكيا ثم دانزج ثم غيرها .

شعر هتلر بعد أن أتم احتلال منطقة الراينلاند ولم يحرك أحد ساكنها بأن أوروبا قد أستولى عليها الرعب منه فحارب جنباً إلى جنب موسوليني في أسبانيا لمعاونة الجنرال فرانكو في حربه ضد الجمهورية الأسبانية

فى ١٣ مارس سنة ١٩٣٨ دخلت جيوش هتلر النمسا واحتلتها . أستاءت دول أوربا ولكنها لم تحرك ساكنا . بعد أقل من ستة أشهر حشد هتلر جيوشه على حدود تشيكوسلوفاكيا فوجهت تشيكوسلوفاكيا نداء إلى حلفائها البريطانيين والفرنسيين لمساعدتها إن هوجمت .

فى ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٣٨ قبل هتلر أن يتفاوض فاجتمع بادوارد دالاديه رئيس الحكومة الفرنسية وبسير نيفل تشمبرلن رئيس وزراء بريطانيا وبينيتو موسوليني رئيس حكومة إيطاليا فى مدينة ميونيخ وأمضوا اتفاقاً حصلت ألمانيا بموجبه على ربع مساحة تشيكوسلوفاكيا ، وتعهد هتلر بأن لا يطالب بأكثر من ذلك .

أنتظر هتلر بضعة أشهر وقام فى أبريل سنة ١٩٣٩ يطالب بالأراضي التى يسكنها ألمان من بولندا فلم يكن لدى بريطانيا وفرنسا هذه المرة أى شك فى أن الحرب آتية لا مناص منها ، بل أصبحت مسألة توقيت فقط .

فى ٢٢ مايو سنة ١٩٣٩ عزز هتلر علاقته بموسوليني بتوقيع « الميثاق الحديدى » بينهما ، وفى أوائل أغسطس من نفس العام حشد هتلر قواته على الحدود البولندية فقامت مظاهرات فى باريس تنادى « لا نريد أن نموت من أجل دانزج » .

فى ٢٣ أغسطس سنة ١٩٣٩ قصف الرعد الذى يسبق العاصفة فقد أمضى هتلر ميثاق عدم اعتداء مع ستالين ، وكان توقيع هذا الميثاق تأكيداً فى نفس هتلر من أن الديمقراطيات الغربية تنهى بالازعان له بعد المفاجأة التى نزلت عليهم .

فى ٣١ أغسطس دخلت جيوش هتلر بولندا واحتلتها .

فى أول سبتمبر سنة ١٩٣٩ وجهت بريطانيا وفرنسا أنذاراً إلى هتلر تطلب إليه أن يسحب قواته من بولندا وكان أنذاراً شكلياً لأنهما كانا يعلمان بأن هتلر لن يفعل ذلك .

فى مساء ٣ سبتمبر سنة ١٩٣٩ أعلنت كل من بريطانيا وفرنسا الحرب على ألمانيا وبدأت مدافع خط ماجينو تطلق قنابلها صوب القوات الألمانية

ولكنها التزمت خطة الدفاع ، كما التزم هتلر خطة الدفاع لأنه كان مشغولاً بتصفية مقاومة الجيش البولندي التي قضى عليها واحتل الجزء الأكبر من بولندا وترك لقوات ستالين أن تتقدم داخل الأراضي البولندية وتحتل ما يقرب من ربع أراضيها . توقفت جيوش ستالين وجيوش هتلر وجهاً لوجه على الأراضي البولندية حتى ٢٢ به نية سنة ١٩٤١ .

في فرنسا قررت حكومة « ادوارد دالادييه » توزيع النبيذ على الجنود في خط ماجينو لأن الشتاء جاء قارصاً وأخذ تلاميذ المدارس يجوبون الشوارع يحملون على أكتافهم صناديق تحتوي على أقنعة واقية من الغازات السامة . استمرت الحكومة الفرنسية في الإعداد للحرب ولكن لم يكن الشعب الفرنسي يبدى اهتماماً لما كان يجري .

قام « البير لبران » رئيس الجمهورية الفرنسية بزيارة جبهة القتال وقدموا إليه الكولونيل شارل دى جول فبادره ،ئيس الجمهورية بقوله « اننى على علم بآرائك ولكن حتى يتمكن العدو من تطبيقها يبدو لى تماماً بأن الوقت لن يسعفه » .

هجوم هتلر على بلجيكا وفرنسا :

في صباح يوم ١٠ مايو سنة ١٩٤٠ هاجمت فرق « البانسر » الألمانية الميكانيكية حدود بلجيكا وشتت شمل القوات الفرنسية وزحفت في سهول فرنسا الشمالية وفصلت القوات الفرنسية عن القوات البريطانية . أذهل الهجوم الألماني القواد الفرنسيين وظهر التفوق الساحق لسلح الطيران الألماني « لوفت وافه » فأخذت القوات الفرنسية في التقهقر . لم تقدر الحكومة الفرنسية حتى الآن خطورة الموقف ، بل كانت تعتقد في إمكان تغيير صورة الموقف كما تغيرت في الحرب العالمية الأولى بمعركة المارن :

كان هناك قائد مقدر لخطورة ما حدث هو الجنرال « هانت زينجر » ومساعدته الجنرال شارل دى جول ولكن الموقف كان قد أفلت من يد القيادة الفرنسية .

فى ٥ يونيه سنة ١٩٤٠ استدعى بول رينو رئيس الحكومة الفرنسية الجنرال شارل دى جول وعينه وكيلا لوزارة الحربية . جاء هذا التعيين متأخراً ولم يكن له من فائدة سوى أن يشارك دى جول فى الانهيار النفسى للقادة الفرنسيين بعد أن تأكد بأن الموقف فى سبيل الانهيار من جميع نواحيه .

هزيمة فرنسا أمام هتلر :

فى ١٧ يونيه سنة ١٩٤٠ استقال بول رينو من رئاسة الحكومة بعد أن ظهر هتلر أمام الوزراء الفرنسيين بمظهر القائد الذى لا يقهر .

فى نفس اليوم أذاع الماريشال فيليب بيتان ، ماريشال فرنسا وبطل موقعة « فردان » فى الحرب العالمية الأولى ، على الشعب الفرنسى بياناً جاء فيه « لقد وجهت الليلة نداءً إلى الخصم أسأله عما إذا كان على استعداد لى يتباحث معنا ، بين عسكريين وعسكريين عن وسائل إنهاء الحرب » :

كان معنى هذا البيان أن فرنسا قد جثت على ركبتيها أمام جيوش هتلر : فى صبيحة يوم ١٧ يونيه توجه دى جول إلى مكتبه فى مدينة بورردو (مقر حكومة بول رينو) وحدد مواعيد مقابلاته بعد الظهر ثم استقل سيارته مع صديقه الجنرال البريطانى سيرز لتوديعه بالمطار . على باب الطائرة صافح دى جول سيرز مودعاً وعندما استعدت الطائرة للتحرك قفز دى جول إلى داخلها وأغلق بابها بشدة وأخذت الطائرة طريقها إلى لندن وسط نظرات الدهشة التى استولت على رجال الأمن فى المطار . يصف تشرشل هذه الصورة فيقول : « بأن دى جول قد حمل معه فى هذه الطائرة الصغيرة شرف فرنسا » .

نداء دى جول إلى الشعب الفرنسى يوم ١٨ يونيه سنة ١٩٤٠ من راديو لندن :

كان النداء الذى وجهه دى جول يوم ١٨ يونيه سنة ١٩٤٠ من راديو لندن بداية لعهد جديد لفرنسا ، وجعل هذا الخطاب من شخصية دى جول شخصية تاريخية ارتبطت بتاريخ فرنسا والعالم فى القرن العشرين .

جاء بالنداء :

« شكل القواد الذين كانوا لعدة سنوات على رأس القوات الفرنسية المسلحة حكومة جديدة ، واعترفت تلك الحكومة بهزيمة قواتنا وأجرت اتصالات مع العدو لإيقاف القتال .

حقيقة أن العدو قد اكتسحنا بقواته المدرعة الأرضية وبقواته الجوية وبسياسته التكتيكية وأجبرنا على التقهقر . إن مدرعات الألمان وطائراتهم وتكتيكهم هو الذى أدهش رؤساءنا حتى قادهم إلى حيث يوجدون الآن .

ولكن هل قيلت الكلمة النهائية ؟ وهل اختفى الأمل ؟ وهل أصبحت الهزيمة نهائية ؟ .

أنا أقول لا . صدقوني ، أنا الذى اتحدث إليكم على علم بالأمور وأقول لكم بأن فرنسا لم تفقد شيئاً . إن نفس الوسائل التى أدت إلى هزيمتنا يمكنها أن تجلب إلينا النصر يوماً ما ، ذلك لأن فرنسا ليست وحيدة وأنها لا تقف بمفردها . إن لفرنسا امبراطورية واسعة تقف من ورائها ويمكنها أن تتضامن مع الامبراطورية البريطانية التى تسيطر على البحار وأن تستمر فى الحرب ، كما أنه يمكن لفرنسا مثل بريطانيا أن تعتمد بغير حدود على الصناعة الضخمة التى تمتلكها الولايات المتحدة الأمريكية . أن مصير هذه الحرب لم يتقرر بانتهاء معركة فرنسا لأن هذه الحرب هى حرب عالمية .

لقد فوجئنا بقوة العدو المدرعة ولكن يمكننا أن نتصر فى المستقبل بقوة مدرعة أكبر . إن مصير العالم معلق على ذلك .

إننى أنا الجنرال دى جول موجود الآن بلندن ، إننى أدعو كافة الضباط والجنود الفرنسيين الموجودين حالياً بالأراضى البريطانية والذين ينتظر تواجدهم بالأراضى البريطانية أن يتصلوا بى سواء بأسلحتهم أو بدونها ، كما أدعو المهندسين والعمال الفنيين فى صناعة الأسلحة الموجودين بالأراضى البريطانية أو الذين ينتظر تواجدهم بالأراضى البريطانية أن يتصلوا بى أيضاً .

مهما يحدث فإن شعلة المقاومة الفرنسية لا يجب أن تخبث ، وهى ان تخبث : باكر مثل اليوم ، سأتكلم من راديو لندن » .

قيام حركة فرنسا الحرة فى لندن :

اتخذ دى جول لنفسه مقراً مؤقتاً عبارة عن غرفة ودورة مياه فى فندق « روبنز » بلندن ومن هذا المقر بدأ دى جول العمل من أجل تكوين حركة أسمأها « حركة فرنسا الحرة » .

فى اليوم التالى لإذاعة دى جول من راديو لندن غادرها جميع أعضاء السفارة الفرنسية وعائلاتهم إلى فيشى ، كما غادرها إلى فيشى أيضاً غالبية الضباط الفرنسيين الذين كانوا موجودين بلندن فى ذلك الوقت ، ولكن بدأت أعداد كبيرة من الشبان الفرنسيين والبحارة والجنود الفرنسيين فى عبور بحر المانش بمختلف الوسائل للانضمام إلى حركة فرنسا الحرة وعملت الحكومة البريطانية على نقلهم إلى معسكرات توطئة لتجنيدهم تحت علم فرنسا الحرة الجديد .

بادر دى جول بإرسال برقيات إلى كافة حكام المستعمرات الفرنسية فيما وراء البحار وقوات القوات الفرنسية المسلحة بها . لزم كل هؤلاء الصمت ولكن بعد وقت قصير أجاب الجنرال « كاترو » حاكم الهند الصينية الفرنسية بإعلان انضمامه إلى حركة فرنسا الحرة ، وكان انضمامه أول استجابة لها أهميتها ولم يتلق دى جول أى استجابة من حكام المستعمرات الفرنسية فى أفريقيا مما سبب له ضيقاً شديداً .

فى ٢٢ يونية سنة ١٩٤٠ وقع المارشال بيتان اتفاقية هدنة مع المانيا وفى ٢٤ يونيه اتفاقية هدنة مع إيطاليا وأنهى بذلك القتال . تقبلت الأغلبية العظمى للشعب الفرنسى توقيع الهدنتين بالارتياح على مضض ، وأعلن المارشال بيتان بأنه إنما وقع الهدنة محافظة على شرف فرنسا وكرامتها .

إن كانت فرنسا قد هزمت فعلا أمام جحافل جيوش هتلر فلم يكن ذلك فى حقيقة الأمر نتيجة لانعدام الكفاءة العسكرية للقادة الفرنسيين أو

نتيجة لتقصير منهم أو من الجنود ، بل كانت الهزيمة نتيجة تخريب سياسى مارسته أحزاب اليسار والجهة الشعبية فى فرنسا ، وانعكس هذا التخريب السياسى على أجهزة الدولة بما فيها جهاز الدفاع الذى عرقلته المناورات السياسية عن إعداد الدولة الإعداد الكافى للدفاع والحرب .

الجنرال دى جول فى لندن :

فى ٣ يولييه سنة ١٩٤٠ وقع حادث خطير . إذ هاجم الأسطول البريطانى فى البحر الأبيض المتوسط وحدات من الأسطول الفرنسى فى ميناء « مرسى الكبير » بالجزائر ، وكان أول اشتباك بين قوات بريطانيا وقوات حكومة فيشى ، بل أول صدام بين الجنرال دى جول وبين المستر ونستون تشرشل لاسيما بعد أن لجأت بريطانيا إلى الاستيلاء على السفن الحربية الفرنسية التى احتتمت بالموانئ البريطانية وإطلاق الطوربيد على البارجة الفرنسية « ريشيليو » فى ميناء دكاكر . كانت حجة المستر تشرشل فى القيام بتلك العمليات - دون استشارة الجنرال دى جول - هى تفادى وقوع وحدات الأسطول الفرنسى بيد الألمان . تخرج مركز الجنرال دى جول أمام رأى العام الفرنسى وكان عليه أن يتحمل تبعه تصرفات البريطانيين ضد الأسطول الفرنسى فاتهمته حكومة فيشى بأنه ينفذ مخططات البريطانيين ويعمل على أن يحارب الفرنسيون بعضهم البعض ، وكان على الجنرال دى جول فى خطاب له يوم ٨ يولييه أن يبرر للفرنسيين عن طريق راديو لندن تصرفات الأسطول البريطانى . وكان نتيجة هذا الهجوم البحرى البريطانى أن قطعت حكومة الماريشال بيتان فى فيشى رسمياً كل علاقة لها مع بريطانيا ، وفى ١١ يولييه تخلى رئيس فرنسا (لبران) عن منصبه وأصبح الماريشال بيتان رئيساً لفرنسا .

فى ٢٤ يولييه سنة ١٩٤٠ أصدرت حكومة فيشى قراراً بتجريد الجنرال دى جول من جنسيته الفرنسية ومصادرة أملاكه فى فرنسا ، وفى ٣ أغسطس سنة ١٩٤٠ أصدر الماريشال فيليب بيتان حكماً عليه بالإعدام بينما كان

يوجه نداءاته المتكررة إلى الشعب الفرنسي من راديو لندن يدعو فيه إلى الصمود أمام العدو الألماني ويهاجم الماريشال بيتان وحكومته .

في ٢٦ أغسطس سنة ١٩٤٠ أعلن حاكم مستعمرة تشاد الفرنسية في أفريقيا انضمامه إلى حركة دي جول وتبعه ببضعة أيام حاكم أفريقيا الاستوائية الفرنسية .

بعد بضعة أسابيع ولما لم تستجب باقي المستعمرات الفرنسية في أفريقيا لنداءات دي جول ، بل أظهرت تأييدها للحكومة فيشي أقر الجنرال دي جول بأن فرنسا الحرة لا يمكنها أن تستمر إلا من لندن ولكي تشترك فرنسا اشتراكاً فعلياً في الحرب فإن عليها أن تفتح الامبراطورية الفرنسية إما بالإقناع وإما بالقوة وإما بوسيلة بين الإقناع والقوة .

في ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٤٠ وبالاتفاق مع السلطات البريطانية ، حضر الجنرال دي جول على ظهر مدمرة حربية إلى ميناء داكار (السنغال) وبعث بمندوبين من قبله إلى السلطات الفرنسية في المستعمرة يطلب إليهم الانضمام إلى حركة فرنسا الحرة ولكن حكام المستعمرة من العسكريين الفرنسيين القوا القبض على المندوبين وأطلقوا النار على المدمرة ، وما كان يحرسها من سفن حربية بريطانية وفرنسية ، فقرر دي جول الانسحاب بسفنه الحربية . وكان لهذا الانسحاب أثر سيء في نفسه لم ينسأه طوال حياته بعد ذلك .

كان نجاح أو فشل حركة فرنسا الحرة يتوقف على ما سيحدث في الفترة ما بين شهر يولييه وشهر ديسمبر سنة ١٩٤٠ ، إذ كانت هذه الفترة هي القول الفصل في مصيرها .

في أوائل نوفمبر سنة ١٩٤٠ انضمت الكونجو (برازافيل) وأراضي « أوبانجي » والجابون إلى الحركة ، وفي ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٠ حدد دي جول من راديو لندن أهداف حركة فرنسا الحرة بما يلي : « الاشتراك في الحرب للاسهام في الانتصار على العدو ، وأن الانتصار على العدو ليس معناه

طرده من فرنسا فقط ، بل معناه تحطيم المانيا ، يجب أن يكون النصر على العدو — هذا النصر المؤكد لجيش الفرنسيين الأحرار — نصراً فرنسياً » .

كان هتلر — رغبة منه في أن تدخل أسبانيا الحرب إلى جانبه لكي يطرد البريطانيين من جبل طارق قد انتقل في قطار مسلح إلى هندايه يوم ٢٣ أكتوبر على الحدود الفرنسية الأسبانية لمقابلة الجنرال فرانكو وإقناعه بما يريد ، وفي طريق عودته اجتمع بالماريشال بيتان يوم ٢٤ أكتوبر ، وكان هتلر يأمل — مساعدة بيير لافال وزير خارجية الماريشال — أن يضم فرنسا إلى جانب المانيا في حربها ضد بريطانيا .

تبين من الوثائق الألمانية التي وقعت بأيدي الحلفاء بعد الحرب بأن تلك المقابلة التي رتبها لافال ولم تنته إلى إجابة هتلر إلى رغبته قد اغضبته من لافال ووصفه هتلر بأنه « محترف السياسة الديمقراطية الصغير القدر » . منذ ذلك الحين والماريشال بيتان شديد الحذر من تصرفات وزير خارجيته التي تهدف إلى دخول فرنسا الحرب ضد بريطانيا واحتلال المانيا لمستعمرات فرنسا في شمال أفريقيا . عندما اقترح لافال على بيتان أن ينتقل إلى باريس يوم ١٣ ديسمبر سنة ١٩٤٠ لكي يحضر احتفالاً بنقل رفات ابن نابليون (ل ايجلون) إلى مقبرة الانفاليد واشترك قوات فرنسية مع قوات المانية في هذا الاحتفال إظهاراً للتضامن بينهما بادر ضباط أركان حرب الماريشال بالقاء القبض على لافال . تدخل هتلر للافراج عنه ولكن بيتان رفض عودته إلى وزارة الخارجية وعين مكانه « فلانندان » .

موقف الحكومة البريطانية من الجنرال دى جول وهو في لندن :

كان موقف الحكومة البريطانية من الجنرال دى جول يتلخص في أنها تريده ولكنها لا تريده جنراً سياسياً قوياً ، إذ كان دى جول يريد أن يكون هو الدولة الفرنسية بأكملها في لندن . لم يكن الجنرال دى جول صبوراً ولكنه في الوقت نفسه كان يعلم بأنه يجب عليه أن يثبت وجوده بين الحلفاء وأن لا يعير اهتماماً لصدى ما كان يتخذه من تلقاء نفسه من

قرارات دون أن يستشير حلفاءه طالما أن قراراته كان هدفها تأمين شخصية فرنسا المحاربة ثم فرنسا المستقلة بعد النصر . لذلك كان كفاح دى جول وهو فى لندن فى شهوره الأولى على جبهتين ، الجبهة الأولى وهى الجبهة العسكرية وكان ينقصه السلاح والمال والقوات ، والجبهة الثانية وهى الجبهة السياسية وكانت جبهة صامته ضد حلفائه البريطانيين والأمريكيين لضمان حقوق فرنسا المستقلة بعد الحرب والنصر .

بادر الجنرال دى جول بإنشاء « مجلس الدفاع عن الامبراطورية » ففهم تشرشل بدهائه بأنه إن اعترف بهذه المؤسسة فإن هذا الاعتراف سيؤدى به لا محالة فى المستقبل إلى قبول الجنرال دى جول رئيساً لحكومة فرنسا المؤقتة فضمن قبوله الاعتراف بهذا المجلس تحفظاً ما يلى نصه : « أريد أن يكون معلوماً بأن حكومة جلالة الملك لا تعتبر بأنها قد أبدت رأياً معيناً بالنسبة للاعتبارات الدستورية والقانونية المختلفة فى اعلانها الاعتراف بهذا المجلس » ولكن دى جول لم يأبه بهذا التحفظ ورضى بقرار الحكومة البريطانية . كان ذلك أول اعتراف من جانب الحكومة البريطانية بسلطات دى جول .

قرر دى جول أن يتخذ لنفسه سياسة « المشاغبة » مع حلفائه ، ففى كل مرة تقدم بريطانيا أو الولايات المتحدة الأمريكية على اتخاذ قرار يمس السيادة الفرنسية فى أى مكان من العالم ، حتى بالنسبة للأراضى الفرنسية التى تدين بالولاء للحكومة الماريشال بيتان فى فيشى يغضب الجنرال دى جول ويشير المشاكل معهما ويحرر لهما مذكرات الاحتجاج ويهدد بالالتجاء إلى الراديو مما يضطر تشرشل رغماً عنه إلى الإذعان لمطالب دى جول .

كانت أزمة الشرق الأدنى أشد الأزمات وأعنفها بين الجنرال دى جول والحكومة البريطانية فى ربيع سنة ١٩٤١ عندما سمحت حكومة فيشى للألمان باستخدام مطارات سوريا ولبنان وكانا لا يزالان تحت الانتداب

الفرنسى . اضطر البريطانيون بهدف حماية مصر وحماية قواتهم في أفريقيا إلى التدخل عسكرياً في سوريا ولبنان . سارع دى جول فطلب إلى البريطانيين إشراك قوات فرنسا الحرة في المعارك وكانت هذه أول مرة يدفع فيها دى جول بقوات فرنسية من قوات فرنسا الحرة لمحاربة قوات فرنسية وهى القوات الفرنسية التابعة لحكومة فيشى التى كانت تحتل سوريا ولبنان . كان دى جول يرى بأن هذا هو الثمن الذى يجب عليه أن يدفعه للمحافظة على استقلال فرنسا . قبل البريطانيون طلب دى جول بإشراك قوات فرنسا الحرة في محاربة جيش حكومة فيشى في سوريا ولبنان . سرعان ما علم دى جول - عن طريق منابراته - بأن اتفاقاً مع جيش حكومة فيشى في دمشق وبيروت كان أمراً ممكناً بدون قتال لأن قواد ذلك الجيش ساءهم أن تسمح حكومتهم في فرنسا (حكومة فيشى) للألمان باستعمال المطارات ، بل أكثر من ذلك أنهم كانوا على استعداد للتفاهم مع الحلفاء والانضمام إلى قوات فرنسا الحرة . كانت سوريا ولبنان ستبقيان في هذه الحالة تحت سيطرة حركة فرنسا الحرة وتحت سلطان دى جول ، غير أن البريطانيين فضلوا احتلال دمشق وبيروت عسكرياً لأن تشرشل كان لا يحتمل الوجود الفرنسى في تلك المنطقة الحساسة من الشرق الأوسط . دام القتال لمدة شهرين في سوريا ولبنان بين قوات الامبراطورية البريطانية وقوات فرنسا الحرة من جانب وبين قوات حكومة فيشى من جانب آخر وأسفر عن ضحايا من الطرفين ومن سكان البلدين .

في ١٢ يولييه سنة ١٩٤١ وقعت الهدنة بين الطرفين وكانت تنص على احتلال بريطانيا لسوريا ولبنان ، أى إبعاد فرنسا عن البلدين . رفض دى جول رفضاً باتاً أن يقبل نصوص اتفاقية الهدنة وبادر في ٢٥ و ٢٦ يولييه بالتوجه بالطائرة إلى كل من دمشق وبيروت حيث استقبل في كل منهما استقبالا حافلا . فهم تشرشل من تصرفات دى جول هذه بأنه حتى بعد أن استولى على سوريا ولبنان عسكرياً فإنه لم ينه الوجود الفرنسى من الشرق الأدنى ولم ينه من مشاكل الجنرال دى جول .

يقول الجنرال دى جول بأنه منذ أزمة سوريا ولبنان هذه أصبح عديم الثقة كلية فى نوايا حلفائه البريطانيين .

عاد دى جول إلى لندن فى أول سبتمبر وتمكن من تسوية موقفه مع تشرشل .

فى ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٤١ أصدر الجنرال دى جول قراراً بتكوين لجنة أسماها « اللجنة الوطنية لفرنسا المحاربة » وشكلها من قوميسيرين للاقتصاد والمالية والمستعمرات والعدل والتعليم والشئون الخارجية والحربية والطيران والعمل والإعلام والبحرية وكانت تلك اللجنة فى واقع الأمر حكومة . منذ تأليف تلك اللجنة بدا تنظيم الاتصال بالحركات السرية داخل فرنسا وفى كافة انحاء الامبراطورية الفرنسية .

فى تلك الأثناء كانت أحداث الحرب قد تطورت فقد هاجم هتلر روسيا فى ٢٢ يونيه سنة ١٩٤١ وتقدمت جيوشه فى أراضيها حتى أصبحت على مشارف موسكو ونجح روزفلت فى إشراك الولايات المتحدة الأمريكية فى الحرب بجانب بريطانيا . كان الجنرال دى جول منكباً على تكوين جيش فرنسا الحرة الجديد ويداوم اتصالاته بأجزاء الامبراطورية التى انضمت إلى حركته ويعمل على أن يعرف حركته للحكومات الدول المتحالفة وفى مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى ويسعى إلى أن تعترف به هاتين الدولتين كممثل شرعى لفرنسا بدلا من اعتباره محارباً ليس إلا .

حركة فرنسا الحرة فى أفريقيا :

حدث فى نهاية صيف سنة ١٩٤٠ أن تمكن ضابط فرنسى شاب اسمه « ليكلير » من ضم الكاميرون إلى حركة فرنسا الحرة وأن يكون جبهة فى شمال الكاميرون وعلى حدود تشاد مع ليبيا تساند الحركة ، وكانت تعوزه الأموال والسلاح والذخيرة ، ورغمما عن ذلك فقد قام فى مطلع عام ١٩٤١ بالزحف داخل الأراضى الليبية واشتبك مع حرس نقطة الحدود

الإيطاليين ووصل في أول فبراير إلى واحة الكفرة وأجبر حاميتها من الإيطاليين على التسليم .

في ربيع نفس العام استمر « ليكلير » في زحفه نحو الشمال حتى احتل كافة أراضي إقليم فزان وأصبح على بعد بضعة مئات قليلة من الكيلومترات من الساحل ، وكان عليه أن يبطل من زحفه لأن إقليحي طرابلس وبرقة كانا تحت احتلال قوات المحور . عندما قام الجنرال مونتجومري بهجوم شامل على جيوش رومل في ٢٣ أكتوبر سنة ١٩٤٢ وبعد معركة رهيبة دامت ثلاثة أيام بدأت الخطوط الألمانية تنهار واضطر رومل إلى التقهقر . في تلك الأثناء انتهر « ليكلير » الفرصة وتقدم إلى الشمال واحتل « بير حكيم » وعلى مدى أسبوع حاولت القوات الألمانية استعادة هذا الموقع الذي كان يدافع عنه الجنرال « كونيغ » ومعه خمسة آلاف وخمسمائة جندي من قوات فرنسا الحرة تمكن الألمان في النهاية من استعادته بعد أن أخلاه الجنرال « كونيغ » تاركاً وراءه ألف وخمسمائة قتيل . أصبح اسم « بير حكيم » اسم علم في تاريخ فرنسا الحرة ومعركة بير حكيم معركة تاريخية ضارية .

نزول القوات البريطانية والأمريكية في شمال أفريقيا وانتقال النزاع على السلطة إلى الجزائر :

في ٧ نوفمبر سنة ١٩٤٢ استمع هواة الراديو إلى رسالة غريبة ترددها كل ساعة إذاعات صادرة عن بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية وتقول : « سيصل روبر ، سيصل روبر » وتكرر هاتين الكلمتين عدة مرات . كانت هذه الإذاعة بالنسبة لمن يعرفون معناها وسرها أن إنزال القوات البريطانية والأمريكية قد بدأ على ساحل طول شمال أفريقيا . كان هذا الإنزال بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية هو بدء اشتراكها الفعلي في الحرب في أوروبا ، وكان بالنسبة للبريطانيين عملية منتظرة منذ وقت طويل تهدف إلى ضرب جيش رومل في ليبيا من الخلف وكانت عملية الإنزال كلها تهدف إلى الاستيلاء على طول ساحل شمال أفريقيا تمهيداً

لغزو أوروبا . لكن هذا الإنزال كان ضربة شديدة لمركز الجنرال دى جول أو كما وصفه بعد ذلك فى مذكراته بأنه كان مأساة .

كان تشرشل واعياً لعلاقة حكومته بالجنرال دى جول وما سوف يؤدى إليه حبس النبأ عنه وعدم إشراك قوات فرنسا الحرة فى العملية ولذلك اعتزم إبلاغ دى جول بالعملية قبل ابتدائها بقليل ولكن روزفلت عارض فى ذلك معارضة شديدة ورأى عدم إبلاغ دى جول بأى نبأ عنها إلا بعد نجاحها ، كما أن الأدميرال ليهى سفير روزفلت لدى حكومة الماريشال بيتان أيد روزفلت فى هذا الرأى .

فى ليلة ٨/٧ نوفمبر نزلت القوات البريطانية والأمريكية فى الدار البيضاء وفى أوران ، وفى الجزائر ، وفى بوجى . قاومتهم قوات حكومة فيشى واشتدت المعارك على مدى يومين حاول دى جول خلاصتهما استمالة قواد القوات فى مراکش والجزائر إلى جانب الحلفاء . كان دى جول يرى فى هذه العملية الجديدة تكراراً لما حدث فى سوريا ولبنان وأن البريطانيين والأمريكيين يحاولون فى هذه المرة أن يحلوا محل فرنسا فى مستعمراتها ولكنه بوصفه رجلاً عسكرياً كان يقدر الأهمية الاستراتيجية لموانئ مراکش والجزائر فى العمليات الحربية المستقبلية ضد هتلر فى أوروبا .

أجاب الألمان على هذا الغزو فى ١١ نوفمبر بأن زحفت قواتهم فى فرنسا على ما كانت قد تركته من أراضى فرنسا بدون احتلال واحتلته ، وكانت تعرف تلك الأراضى بالمنطقة الحرة فى فرنسا ، وأصبحت القوات الألمانية تحتل الآن فرنسا بأكملها .

حاول الألمان الاستيلاء على الأسطول الفرنسى فى خليج طولون ولكن فريقاً من الضباط توجهوا بسفنهم إلى الميناء وأغرقوها يوم ٢٧ نوفمبر حتى لا تقع بأيدي « العدو » . ثارت نائرة الرأى العام الفرنسى وأصبحت ألمانيا من جديد ذلك « العدو اللدود » . (كانت القطع الحربية البحرية التى أغرقت من أحدث القطع البحرية فى العالم وكانت تضم بارجة كبيرة وبارجتين وسبعة طرادات و ٢٩ مدمرة وقوارب قاذفة الطوربيد وست

عشرة غواصة من بين ٧٣ قطعة حربية غرقت بالميناء ، واستغرق إخراجها بعد ذلك من ميناء طولون عشر سنوات) .

سياسة الأمريكيين نحو دى جول :

كان على الأمريكيين — بعد احتلالهم للجزائر — أن يقيموا إدارة فرنسية جديدة فيها وأن يبحثوا عن شخصية فرنسية كبيرة لكي يستندوا إليها في بقائهم في الجزائر والمغرب . حاولوا فرض الأميرال « دارلان » والجنرال « جيرو » ، ولكن الأميرال اغتيل يوم ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٤٢ في ظروف غامضة ، اغتاله شاب في العشرين من عمره يسمى « بونيه دى لا شابل » وقيل بأنه كان على علاقة بـ « هنرى داستيه » الذى تبين بأن له ضلعاً في المؤامرة الملكية التى كانت تهدف إلى إعادة الكونت دى بارى إلى السلطة على رأس حكومة مؤقتة في شمال أفريقيا المناهضة لحكومة فيشى وكان يعيش في ذلك الوقت في عزلة بالقرب من طنجة ، وهنرى داستيه هذا هو شقيق الجنرال فرانسوا داستيه دى لا فيجيرى الذى بعث به الجنرال دى جول كمندوب عنه إلى الجزائر في ١٩ ديسمبر لاستطلاع الحالة فيها قبل حضوره إلى الجزائر بنفسه . بقى الجنرال جيرو (كان هذا الجنرال أسيراً بيد الألمان ولكنه تمكن من الهرب والوصول إلى فيشى وبمساعدة الأمريكيين والبريطانيين تمكن من الوصول إلى الجزائر) حاول جيرو أن يشكل حكومة فرنسية بمساعدة الدبلوماسيين الأمريكيين أخذاً في حسابه شرعية حكومة المارشال بيتان في فيشى لإبعاد حركة فرنسا الحرة في لندن عن المسرح السياسى والعسكرى ، ولكن الضباط الفرنسيين في الجزائر قبلوه ببرود وتبين للأمريكيين بأنه لا يوجد ضابط عظيم فرنسى بالجزائر يقبل بأن يكون جيرو قائداً فرنسياً أعلى . أحس دى جول بالخطر الذى ينتظره فأعلن بأن حكومة فيشى هى حكومة غير شرعية لأنها قبلت التسليم إلى العدو .

كان الجنرال جيرو ضابطاً شجاعاً ولكنه لم يكن سياسياً ، كان لا يثق في دى جول ولا يحب سيطرته ولا أسلوبه في مخاطبة الجماهير وكان فوق

كل ذلك شديد الإعجاب بالماريشال بيتان ويأمل أن يتمكن من تقريب الماريشال بيتان وحكومته إلى الحكومة البريطانية ولكن اشترك الأمريكيين في النزول إلى شمال أفريقيا مع البريطانيين أدى إلى أن تقرر حكومة الماريشال بيتان قطع علاقاتها الدبلوماسية مع الولايات المتحدة الأمريكية .

كان الجنرال دى جول فى لندن يخطر الجنرال جيرو والمستر تشرشل والرئيس روزفلت بالبرقيات والرسائل ليذكرهم بأنه هو السلطة الشرعية الفرنسية وأنه يريد أن يطير إلى الجزائر ليتخذها عاصمة لحركة فرنسا الحرة ولكنه كان يشعر بأن الحكومة الأمريكية تريد الجنرال جيرو وتأييده لأن روزفلت كان يرى فيه جسراً لتفاهم الحلفاء مع الماريشال بيتان وحكومة فيشى إذ لا سبيل إلى تفاهم ما بين الجنرال دى جول والماريشال بيتان . أصبح الجنرال جيرو هذا أكبر منافس لدى جول .

أجتماع روزفلت وتشرشل بالدار البيضاء (يناير سنة ١٩٤٣) ودعوة دى جول إلى حضور الاجتماع :

وصل روزفلت إلى الدار البيضاء يوم ١٤ يناير سنة ١٩٤٣ للاجتماع بتشرشل وبناء على اقتراح تشرشل وافق روزفلت على دعوة دى جول لحضور الاجتماع . ولما كان تشرشل يتوقع أن يرفض دى جول الحضور بسبب الطريقة التى يدعى بها متهما إياه بالتعالى (ونظرا لأن دى جول يعتبر نفسه الممثل الشرعى لفرنسا) فقد طلب تشرشل من إيدن وزير الخارجية أن يقنع دى جول بقبول الدعوة وأن يصل معه إلى حد التهديد بأنه فى حالة رفضه فإن الحكومة البريطانية ستصمم على استبداله فى رئاسة لجنة التحرير الفرنسية فى لندن برئاسة آخر . كما أبقى إلى إيدن فى ١٨ يناير برسالة لتسليمها إلى دى جول وجاء بها أن الدعوة موجهة إليه من رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ومن رئيس وزراء بريطانيا وأن رفض الدعوة ليس فى مصلحته ولا فى مصلحة الحركة التى يتزعمها . أضاف تشرشل بأنهما فى سبيل اتخاذ قرارات بشأن شمال أفريقيا ويريدان رأيه بل ويمكنهما اتخاذ تلك القرارات فى غيابه وستكون بتأييد من الدولتين . لم يفت تشرشل أن

يقول لدى جول بأنه إن رفض الدعوة فستذهب جهوده في سبيل التقريب بينه وبين الرئيس روزفلت هباء وستضطر الحكومة البريطانية إلى إعادة النظر في سياستها نحو حركته إذا استمر هو في رئاستها .

بعد هذا التهديد وصل دى جول إلى المغرب في ٢٢ يناير سنة ١٩٤٣ وحضر اجتماعاً مع تشرشل وروفلت وجيرو للتداول في شئون شمال أفريقيا : بناء على رغبة الزعيمين الكبيرين قبل دى جول أن يتعاون مع جيرو في شئون الحكم جنباً إلى جنب ولكن سرعان ما تبين لدى جول بأن عليه أن يبعد جيرو من الميدان سريعاً إذ كان يرى خطراً داهماً على مستقبل فرنسا من هذا الحل .

عاد دى جول إلى لندن لكي يكرس جهوده في تدعيم مركزه وفي شهر مارس سنة ١٩٤٣ تلقى نبأ كان سبباً في تأمين مستقبله السياسى ذلك بأن هيئة المقاومة السرية الفرنسية داخل فرنسا قد قررت اختياره — من بين الاثنين المتنافسين — ليكون قائدا للحركة .

لم يعد دى جول إلى الجزائر إلا في ٣٠ مايو سنة ١٩٤٣ ، وفي ٣ يونيو التالى تم تشكيل « اللجنة الفرنسية للتحرير الوطنى » تحت قيادة الجنرالين دى جول وجيرو . تقرر أن يعين كل منهما ثلاثة أعضاء في تلك اللجنة ، فعين الجنرال جيرو « موريس كوف دى مورفيل » و « رينيه مايير » لمعاونته وكانا في قرارة نفسيهما من مؤيدى الجنرال دى جول . كانت مهمة اللجنة تقسيم السلطة بالتساوى بين الجنرالين ودمج العسكريين الفرنسيين في شمال افريقيا بالعسكريين الفرنسيين القادمين من لندن مع دى جول في قوات حركة فرنسا الحرة ، وكذا تنسيق العمل بين رجال المقاومة القادمين من داخل فرنسا وتنسيق العمل بين السياسة الفرنسيين المقيمين بالجزائر ، وقد اعتبر تشرشل أن تكوين هذه اللجنة ينهى علاقته الرسمية بدى جول بوصفه رئيساً لفرنسا الحرة المخاربة التي سبق لتشرشل أن اعترف بها في خطابين متبادلين سنة ١٩٤٠ وفي وثائق تالية .

غير أن تكوين اللجنة لم يمهله الخلاف بين الجنرالين إذ أن دى جول

رفض بتاتا أن يعترف بالجنرال جيرو قائداً أعلى لقوات فرنسا ، وكان جيرو مهتماً بأن يحافظ على الجيش الفرنسي في شمال أفريقيا بعيداً عن نفوذ حركة فرنسا الحرة ، وأدى موقف دي جول هذا في موضوع القيادة العسكرية إلى إثارة الأمريكيين ضده وإثارة شكوكهم في نواياه . كان دي جول يهدف إلى أن توافق اللجنة على أن يكون الدفاع الوطني من اختصاصه وأن تكون له اختصاصات وزير الحربية كما طلب أن يتولى قيادة القوات الفرنسية التي لا تحارب في الميادين تحت قيادات أخرى ورفض جيرو كلية أن يسلم قيادة القوات الفرنسية وصمم على أن يعين الجنرال جورج (أحد أعضاء اللجنة) قوميسراً للدفاع الوطني ، ولما شعر جيرو بأن اللجنة ستقف في صف دي جول في هذا الموضوع اعترم الانسحاب منها وإبلاغ دولتي الاحتلال بأطماع دي جول .

اتخذ روزفلت موقفاً صلباً مع دي جول وأصدر أوامره إلى الجنرال آيزنهاور بأنه خلال احتلال أمريكا لشمال إفريقيا لا تقبل على الإطلاق أن تسيطر على الجيش الفرنسي فيه أية هيئة لا تكون خاضعة لإدارة القائد الأعلى لقوات الحلفاء ، ووصل الحال بالأمريكيين إلى أنهم صمموا على رفض الاعتراف بأية هيئة إدارية مؤقتة إذا ما اعتقدوا بأن دي جول سوف يكون له فيها النموذج الأعلى الذي سوف يؤثر على مستقبل فرنسا بعد الحرب .

تحت ضغط من الوزارة البريطانية اقترح تشرشل على روزفلت الاعتراف باللجنة الفرنسية للتحرير الوطني ولكن روزفلت رأى أن لا يكون اعترافاً بل « تعاوناً » ورفض لفظ الاعتراف كلية ، وبعد ذلك قبل الأمريكيون إصدار بيان في عبارات عامة يؤيدون فيه التنظيم السياسي الذي تم في شمال إفريقيا .

كانت خطة الجنرال دي جول في إبعاد الجنرال جيرو تتلخص في الوصول إلى هدفه على ثلاث مراحل ، المرحلة الأولى أن يفقد جيرو الغالبية داخل اللجنة وذلك لأن عضوين من الأعضاء الثلاثة الذين عينهم

جيرو قد انتقلا فعلا إلى تأييد دى جول وهما « موريس كوف دى مورفيل » و « جان مونييه » . الخطوة الثانية أن يعمل دى جول على تعيين جيرو قائداً عاماً للقوات الفرنسية وقد تم ذلك فى ٣١ مايو سنة ١٩٤٣ . الخطوة الثالثة تعيينه مفتشاً عاماً لقوات فرنسا الحرة بأسلحتها الثلاثة وقد تم ذلك فى مطلع خريف نفس العام .

لما رفض جيرو هذا التعيين وصممت اللجنة على قرارها استقال جيرو من عضوية اللجنة فى ٨ نوفمبر وبذلك اختفى من المسرح السياسى ثم من المسرح العسكرى وأصبح دى جول الزعيم الوحيد لحركة فرنسا الحرة وامتدت سيطرته على شمال افريقيا .

بعد ذلك أخذت إجزاء الامبراطورية الفرنسية تنضم إلى دى جول الواحدة بعد الأخرى وأخذ جيش فرنسا الحرة يأخذ شكلا جديداً .

الموقف داخل فرنسا :

بينما كان دى جول يعزز مركزه وسلطاته ويتحدث إلى الشعب الفرنسى فى الساعة التاسعة والرابع من مساء كل يوم كانت جيوش هتلر تحتل كافة الأراضى الفرنسية منذ شهر نوفمبر سنة ١٩٤٢ . كان رأى العام الفرنسى يؤيد المارشال بيتان منذ توقيع الهدنة مع الألمان فى يونيه سنة ١٩٤٠ ولكن هذا رأى العام بدأ يبتعد عن المارشال منذ أن قام هتلر باحتلال كل فرنسا ويتجه نحو تأييد المقاومة . كان هناك عاملان ساعدا على ابتعاد رأى العام الفرنسى عن مساندة بيتان ، العامل الأول هو أن بيتان قد استدعى « بيير لافال » فى مطلع ربيع سنة ١٩٤٢ لكى يتولى رئاسة الوزراء وبيير لافال هذا شخصية مكروهة من الشعب الفرنسى لأنه يمثل الخضوع التام للألمان . العامل الثانى أنه فى فبراير سنة ١٩٤٣ قبل ببيير لافال طلب هتلر إقامة نظام خدمة اجبارية فى فرنسا وقضى هذا النظام بأنه عل كل فرنسى قادر بلغ من العمر ٢١ سنة أن ينتقل إلى ألمانيا للعمل فى مصانعها ، فكان على الشباب الفرنسى أن يختار بين أمرين ، إما السفر للعمل فى المصانع الألمانية وإما الهرب والانضمام إلى فرق المقاومة السرية .

انقسم الشعب الفرنسي إلى فريقين ، الفريق الأول يتكون من فرق المقاومة السرية وهى وإن كانت لا تزال قليلة العدد ولكنها تزداد يوماً بعد آخر وتلقى تأييداً فى صور مختلفة من غالبية الشعب الفرنسي ، والفريق الآخر وهم الذين يؤيدون المارشال بيتان ويشقون فيه ولا يعتقدون بأنه يخون فرنسا .

بدأ نشاط المقاومة السرية يتضح ، ففى كل يوم تنسف قطارات محملة بالجنود الألمان ويقتل الجنود الألمان على مفارق الطرق وتتخذ فرق المقاومة من الجبال القريبة أوكاراً لها يذنا يزيد الألمان من أساليبهم الرهيبة فى الانتقام ويغطون مباني باريس بإعلانات مكتوبة باللغتين الألمانية والفرنسية ويدرجون بها أسماء الفرنسيين الذين أعدموا لقيامهم بأعمال تخريبية . اشتد الألمان فى جمع اليهود والشيوعيين والمشتبه بأنهم من رجال المقاومة فى قطارات تنقلهم كل يوم إلى معسكرات الاعتقال الألمانية .

الموقف العسكرى للحلفاء على الجبهات المختلفة :

أخذت نتائج المعارك على الجبهات المختلفة تغير صورة الموقف العسكرى للحلفاء ، فقد أصيب الجيش الألمانى بأكبر هزيمة له فى التاريخ أمام ستالينجراد وأجبرت بطولة الجيش السوفيتى جحافل جيوش هتلر على التقهقر شبرا بعد شبر مما كلف الجيش السوفيتى سبعة عشر مايوناً من القتلى على جبهة طولها ثلاثة آلاف كيلو متراً . تمكنت الجيوش السوفيتية من إجبار قوات هتلر على التقهقر ثم تعقبها .

فى شمال إفريقيا تعقب الجنرال مونتجومرى القوات الألمانية غرباً حتى طرابلس فى ليبيا وأنزل الحلفاء قواتهم فى جزيرة صقلية .

كان على دى جول الآن أن يحقق هدفين ، أولهما أن يعترف لفرنسا بحق الدولة المحاربة ، وثانيهما أن يتولى السلطة فيها بعد التحرير . بدأ نزاعه مع رؤساء أركان حرب قوات حلفائه حتى يشترك الجنرال « ليكلير » Leclerc على رأس قوات فرنسية فى تحرير تونس ولكى يكون الجنرال جوان وقوات فرنسا الحرة فى إيطاليا على جبهات القتال الرئيسية وأن يتقدم

الجنرال الفرنسي « دى لاتر دى تاسيني » وقواته الفرنسية قوات الحلفاء التى ستنزى على ساحل فرنسا الجنوبي .

فى ميدان البحر الأبيض المتوسط سقطت تونس يوم ٧ مايو سنة ١٩٤٣ تحت ضغط ثلاثة جيوش متحالفة ، الجيش البريطانى بقيادة الجنرال مونتجومرى القادم من برقة وطرابلس وجيش فرنسا الحرة القادم من فزان بقيادة الجنرال « ليكلير » ، والجيش الأمريكى القادم من الجزائر . فى ٢٦ يونيو ١٩٤٣ دخل الجنرال دى جول تونس فاستقبله الفرنسيون استقبالا حماسياً بالغاً .

كان دى جول يرى حينئذ أن يبادر الحلفاء بإنزال قواتهم على ساحل فرنسا الجنوبي ولكن الحلفاء كانوا يفضلون أن يكونوا أكثر حذراً وأن يبدأوا بالأرض القريبة منهم ، ففى ١٠ يولييه سنة ١٩٤٣ أنزل البريطانيون والأمريكيون قواتهم فى جزيرة صقلية ثم فى الطرف الجنوبي من شبه الجزيرة الإيطالية ، وفى هذه المرة قبل البريطانيون والأمريكيون إشراك قوات فرنسا الحرة بقيادة الجنرال جوان فى عملية غزو إيطاليا وكانت مقاومة الألمان فى هذه العملية بالغة العنف إذ كان هتار يقدر مدى خطورة فتح جبهة ثانية على أرض أوربا . فى بلدة « كاسينو » الإيطالية (على طريق نابولى — روما) استمرت المعارك الرهيبة عدة أشهر واشتركت فيها القوات الفرنسية بشجاعة ولم تتمكن قوات الحلفاء من الوصول إلى روما لاحتلالها إلا بعد ما يقرب من سنة بذلت الدعاية الألمانية خلالها جهداً كبيراً فى كافة مدن أوربا وصورت قوات الحلفاء على أنها قد توقفت وعجزت عن الحركة تماماً .

كان الشعب الفرنسى فى تلك الأثناء ينتظر كل يوم أنباء نزول الحلفاء على ساحل فرنسا الجنوبي وارتفعت آمالهم عندما حررت قوات الحلفاء بمعاونة قوات المقاومة السرية جزيرة كورسيكا وحضور الجنرال دى جول إلى الجزيرة يوم ٨ أكتوبر سنة ١٩٤٣ والاستقبال الحماسى الذى أعده شعب الجزيرة له رغمًا عن الصراع السياسى الذى كان دائراً بين رجال

المقاومة من الشيوعيين والعسكريين الموالين للجنرال دى جول ورجال التحرير الكوماندوز فى الجزيرة .

نزول قوات الحلفاء على ساحل فرنسا الشمالى :

كان على الحلفاء أن يعبروا بحر المانش ، وهى التجربة العسكرية الرهيبة التى عجز نابليون فى أيامه عن القيام بها فراجع :
يروى الجنرال دى جول ما تم فى مقابلاته التاريخية لتشرشل يوم ٤ يونيه سنة ١٩٤٤ على الصفحات ٢٣٥ و ٢٣٧ من المجلد الثانى لمذكراته بالصورة التالية :

« فى ٢ يونيه تسلمت رسالة عاجلة من تشرشل يطلب إلى بها أن أحضر لمقابلته فوراً وبعث بطائرته الخاصة لتتقلنى من أفريقيا إلى لندن . فى صبيحة يوم ٤ يونيه وصلت إلى مكان قريب من بورتسموث حيث وجدت تشرشل محاطاً ببعض وزرائه وفى مقدمتهم إيدن وبيفن وبيعض قواده العسكريين وعلى رأسهم الجنرال إسمائى . كان هناك أيضاً المارشال سمطس الذى كان قد صرح منذ بضعة أشهر بأنه لما كانت فرنسا قد فقدت مكانتها كدولة عظمى فيحسن بها أن تنضم إلى رابطة الشعوب البريطانية وأن صحافة الانجلوساكسون قد نشرت هذا التصريح على نطاق واسع . شرح لى تشرشل الاستعدادات العسكرية الضخمة التى تمت على الشواطئ البريطانية ونوه بكثير من الاعتباط بأن العمليات العسكرية ستبدأ فى مرحلتها الأولى بوسائل بريطانية فى غالبيتها وقال ما نصه « وبوجه خاص فإن الأسطول الملكى هو الذى سيقوم بالدور الرئيسى فى عمليات النقل وحماية القوات » . اعربت لرئيس الوزراء البريطانى باخلاص عن أعجابى بما تم لا سيما وأن بريطانيا العظمى — بعد كل ما تحمّله من صعاب وما مر بها من محن فى شجاعة وصبر — وهى الآن نقطة الانطلاق لمهاجمة القارة بكل القوات لانقاذ أوروبا وأن هذا هو الدليل الواضح لسياسة الشجاعة التى يمثلها منذ الأيام حالكة السواد ، وأنه مهما تحمّلت فرنسا من تضحيات أخرى بسبب الأحداث القادمة فأنها ولا شك فخورة بأن تكون الآن بين الصفوف ، وبالرغم من كل شئ ، بجانب حلفائها لتحرير أوروبا .

أجاب « دعنا ننظم تعاوننا في فرنسا ، وعليك أن تتوجه إلى الولايات المتحدة الأمريكية بعد ذلك لعرض الموضوع على الرئيس ومن الممكن أن يقبل ما نتفق عليه فنتمكن بعد ذلك من تطبيقه ، على كل حال ستحدث معه وربما سيخفف من تشدده ويعترف بسلطتك الإدارية بشكل أو بآخر » .

أجبت تشرشل « ولماذا تعتقد بأنه على أن أشرح نفسي لروزفلت لكي أتولى السلطة في فرنسا ، أن حكومة فرنسا موجودة وليس لدى ما أطلبه من الولايات المتحدة الأمريكية عن هذا الموضوع — كما هو الموقف بالنسبة لبريطانيا — أنه من المهم لكافة الحلفاء أن ينظموا العلاقات الإدارية الفرنسية والقيادة العسكرية ، أننا قد أقترحنا ذلك منذ تسعة أشهر ، ولما كان نزول القوات سيتم باكر فإنني مقدر لهفتك على الإسراع بتسوية هذا الموضوع » ، « لقد علمت بأنه رغماً عن تحذيراتنا فقد زودت القوات التي تتأهب لغزو الأراضي الفرنسية ، وكذا أجهزة الخدمات ، بأوراق نقد قيل بأنها نقد فرنسي قد طبع خارج فرنسا ، أن حكومة الجمهورية الفرنسية لا تعترف على الإطلاق بهذا النقد وأنه طبقاً لتعليمات القيادة العسكرية الموحدة للحلفاء ستكون لأوراق النقد هذه الصفة الشرعية الإجبارية في الأراضي الفرنسية ، أنني لا أستبعد غدا أن يعلن الجنرال آيزنهاور بناء على تعليمات رئيس الولايات المتحدة الأمريكية وبالاتفاق معك ، بأنه قد وضع فرنسا تحت سلطته . . . كيف تريد مني أن نتعامل على هذه الأسس . . ؟ وهنا صاح تشرشل « وكيف تريد منا نحن البريطانيين أن نتخذ موقفاً مخالفاً لموقف الولايات المتحدة الأمريكية ؟ وبصوت جعلني أشعر بأن تشرشل أراد أن يثير سامعيه البريطانيين أكثر مني قال « سنحرر أوروبا وسنقوم بهذا العمل لأن الأمريكيين يقفون بجانبنا ، وعليك أن تعلم بأنه في كل مرة يتعين فيها علينا أن نختار بين أوروبا وبين الشواطئ البعيدة سنختار الشواطئ البعيدة ، وأنه في كل مرة يتعين فيها علينا أن نختار بينك وبين روزفلت فإنني سأختار دائماً روزفلت » .

يمضي دى جول في روايته لتلك المقابلة التاريخية فيقول بأنه بعد هذا التصريح من تشرشل أخذ مستر إيدن يهر رأسه وبدأ غير مقتنع بما سمعه ،

أما عن مستر بيفن — وكان وزيراً للعمل ممثلاً لحزب العمال في وزارة تشرشل الائتلافية — فقد تقدم نحوى قائلاً بصوت مرتفع لكي يسمعه جميع الحاضرين « لقد قال لك رئيس الوزراء بأنه في جميع الأحوال سيتخذ جانب رئيس الولايات المتحدة الأمريكية . أرجو أن تعلم بأنه قد تكلم عن نفسه وليس باسم الوزارة البريطانية على الإطلاق » .

كان كل شيء قد أعد لكي يتم الغزو في الفترة ما بين ٣ و ٧ يونيه وترك للجنرال آيزنهاور القائد العام تحديد اليوم والساعة إذ أنه بعد يوم ٧ يونيه لن تسمح أحوال المد والجزر في بحر المانش بالقيام بعملية العبور ويتعين تأجيل الغزو لمدة تقرب من الشهر .

في ٥ يونيه سنة ١٩٤٤ رددت الإذاعة البريطانية هذه الكلمات « النقيب الطويل للقيثارة » . أدركت المخابرات الألمانية بأن إنزال القوات على وشك وأن المعركة الكبرى قد بدأت . أبلغت هيئة أركان حرب هتلر ولكن برلين كانت في شك من صحة هذا الإدراك .

في فجر يوم ٦ يونيه سنة ١٩٤٤ امتلأ بحر المانش بأكبر أسطول ناقل للجنود والمعدات عرفه العالم حتى يومنا هذا . امتلأت سفن هذا الأسطول بحنود أمريكيين وكنديين وبريطانيين وفرنسيين ، منهم من كان يرتعد من البرد ومنهم من أصيب بالأغماء بسبب العاصفة التي سيطرت على البحر . كانت السفن تتقدم نحو الشاطئ الفرنسي بثبات وبدأت المعركة الرهيبة بانزال قوات المظليين خلف الخطوط الألمانية لمهاجمتها . في برلين لم يجرأ أحد على إيقاف هتلر من نومه لأبلاغه النبأ . فقدت القيادة الألمانية بضع ساعات قليلة ثمينة قد تكون القول الفصل في مصير المعركة . استمرت الاشتباكات على الساحل طوال اليوم . كانت خسائر الحلفاء في الأنفس والعتاد رهيبية ولكن هذه الخسائر كانت منتظرة . استمرت الزوارق الضخمة تلقى على الساحل دون توقف بأعداد ضخمة من الجنود والسيارات والعربات المصفحة والدبابات والأوناش وورش الإصلاح المتنقلة ومستشفيات الميدان وغيرها . استمرت تلك العمليات طوال اليوم إلى أن تمكنت قوات

الحلفاء فى اليوم التالى من تثبيت أقدامها على الساحل بإقامة نقط ارتكاز فبدأت القوات الألمانية فى التقهقر .

ظلت المعركة على مدى ستة أيام تتأرجح بين الطرفين المتحاربين ولم يكن الوقت فى صالح القوات الألمانية ، إذ تمكنت طواير قوات الحلفاء من التوغل إلى داخلية الأراضى الفرنسية فى صفوف القوات الألمانية وكان على السكان الفرنسيين فى المناطق التى حررت أن يقوموا بدورهم فى مقاومة الجيوش الألمانية المتقهقرة والقيام بأعمال التخريب خلف خطوطها .

علم الجنرال دى جول من مصادر معلوماته بأن الحكومة الأمريكية تعزم إقامة إدارة عسكرية فى المناطق التى ستحررها تدريجياً من فرنسا فلم يقبل دى جول ذلك على الإطلاق كما لم يضيع وقتاً فى مناقشة الأمريكيين بل عمد منذ اليوم الأول لنزول الحلفاء على الشاطئ الفرنسى إلى إنزال رجال من أعوانه بالمظلات على المدن الفرنسية الرئيسية يحملون تفويضاً منه بالاستيلاء على دور المحافظات وضمان استمرار الإدارة الفرنسية المستقلة . نجحت هذه العمليات فى كل مكان إذ كانت القوات الأمريكية كلما تقدمت فى الأراضى الفرنسية الحرة ودخلت مدينة فرنسية تقابل هؤلاء الرجال الذين هبطوا بالمظلات وهم يحملون معهم تفويضاً مضى من الجنرال دى جول بتولى شؤون الإدارة الفرنسية للمدينة .

فى ٢٠ أغسطس سنة ١٩٤٤ وصل الجنرال دى جول إلى أرض فرنسا وكانت قوات الحلفاء قد أعبرت بأنها قد كسبت المعركة فعلا . بقى على الجنرال دى جول أن يخوض معركة سياسية هامة مع البريطانيين والأمريكيين والشيوعيين وهى تجنب اعتبار فرنسا أرضاً محتلة ، كما كان يعلم جيداً بأن الشيوعيين الفرنسيين فى باريس يعدون أنفسهم سراً للاستيلاء على السلطة فى باريس . كان على الجنرال دى جول أيضاً أن يعمل فوراً على إقناع الجنرال آيزنهاور القائد العام لقوات الغزو بأن يعدل جزءاً من خطة المعركة ويترك الجنرال « ليكلير » الفرنسى للتقدم نحو باريس . تردد الجنرال آيزنهاور لمدة ثمان وأربعين ساعة لما كان يعلمه من ضخامة الحسائر التى قد تلحق بقوات الحلفاء إذا ما هاجمت باريس فى ذلك الوقت

ولكنه وجد بأن المبررات التي عرضها عليه الجنرال دى جول مقبولة لا سيما وأن بعض زعماء المقاومة السرية الفرنسية كانوا قد تسللوا عبر خطوط الألمان والخوا على قيادة الحلفاء مساعدتهم بصفة عاجلة .

فى مساء يوم ٢٢ أغسطس تلقى الجنرال ليكلير أمر الجنرال آيزنهاور بالزحف على باريس بفرقة المدرعة الثانية على أن تقوم القوات الأمريكية بقيادة الجنرال « باتون » بمساندته .

تحرير باريس :

قوبلت قوات الحلفاء بمقاومة عنيفة من القوات الألمانية التى تحصنت فى الخنادق . زحفت قوات الجنرال « ليكلير » ببطء وثبات خشية أن تقع فى فخ . كان برج إيفل على مرمى البصر ولكنه مع ذلك كان بعيداً . وصلت ثلاث دبابات من قوات الجنرال ليكلير إلى مشارف باريس فى الساعة التاسعة من مساء يوم ٢٤ أغسطس سنة ١٩٤٤ ، واخترقت شوارع العاصمة حتى وصلت إلى دار البلدية . كان الباريسيون يملأون الشوارع غير مكترئين بطلقات الرصاص التى كانت تنطلق فى كل اتجاه ، دقت أجراس كافة الكنائس معلنة تحرير باريس .

كان القائد الألمانى « فون شولتيتمس » يتخذ فندق موريس مقراً لقيادته ، كان يسمع هذا الضجيج ويعلم بأن أيامه فى حكم باريس قد أشرفت على النهاية .

فى فجر اليوم التالى (٢٥ أغسطس سنة ١٩٤٤) كانت قوات الجنرال ليكلير قد تدفقت على باريس تعاونها فرق المقاومة السرية التى كانت تهاجم محطات السكك الحديدية ومراكز القيادة الألمانية وبدأت معركة رهيبة فى كل مكان من العاصمة وكانت الدبابات الفرنسية والألمانية تتبادل إطلاق النار فى كثير من الأحيان من على بعد لا يزيد على عشرين متراً .

كان دى جول خلال تلك الساعات الحاسمة يراقب سير القتال من بلدة « رامبويه » القريبة جداً من باريس . عند الظهر تأكد بأن عملية

تحرير باريس قد تمت بنجاح . بذلك سجل دى جول على صفحات التاريخ بأن باريس قد حررت بواسطة الباريسيين والقوات الفرنسية . دخلت القوات الأمريكية باريس فى نفس اليوم من الناحية الأخرى للمدينة . لم يبق إلا أن يستقل الجنرال دى جول سيارته ويتجه فوراً من رامبويه إلى باريس ليدخلها بعد غيبة دامت أربع سنوات وسبعين يوماً واتخذ وزارة الحربية مقرّاً له .

كان الموقف داخل العاصمة منذ منتصف أغسطس غاية فى الخطورة إذ شحت المواد الغذائية وتوقفت وسائل النقل العامة عن العمل واختفى رجال الأمن من الشوارع وأصبحت العاصمة بعد بضعة أيام من الترقب والانتظار تحت سيطرة قوات المقاومة السرية التى كان يسيطر عليها الشيوعيون . كان بمقدور القوات الألمانية ولديها التفوق الساحق على قوات المقاومة أن تقضى عليها قضاءً مبرماً فى بضعة ساعات وذلك بتدمير أوكار المقاومة وتخريب كل مكان يشك فى وجودها به ولكن الحكومة الألمانية فى باريس وعلى رأسها الجنرال فون شولتيتس تذرعت بالصبر ولم تشأ أن تتحمل أمام التاريخ مسؤولية تدمير باريس ولحسن حظ الشعب الفرنسى وحظ الحضارة الأوربية والثقافة الفرنسية أن وصلت قوات الحلفاء لانقاذ باريس فى الوقت المناسب وإلا كان من المحتمل أن يكون نصيبها على يد قوات الاحتلال الألمانى مثل نصيب فرسوفيا من الدمار والحرب ولكن القائد الألمانى فون شولتيتس رأى بأن لا فائدة من المقاومة داخل المدينة إلا بتدميرها فقبل التسليم إلى الجنرال « ليكلير » وأعطى أمراً لكافة رجال القوات الألمانية داخل العاصمة بإيقاف إطلاق النار وتسليم أنفسهم وسلاحهم كأسرى حرب .

كان دى جول يعلم بأن شرعية توليه السلطة يجب أن تستمد من الشعب الفرنسى وأن الشعب الفرنسى هو الذى يجب أن يقرر إما أن يقبل « فرنسا الحرة » أو يرفضها فأعلن بأنه سيتوجه إلى قبر الجندى المجهول فى باريس (قوس النصر بميدان ليتوال) فى اليوم التالى (٢٦ أغسطس سنة ١٩٤٤)

فأخذت جموع الباريسيين ترحف نحو الميدان وشارع الشانزليزيه منذ ساعات الليل لتحية الجنرال دى جول بعد ظهر اليوم التالى .

فى الساعة الثالثة بعد ظهر ٢٦ أغسطس سنة ١٩٤٤ توجه الجنرال دى جول إلى ميدان « ليتوال » حيث يوجد النصب التذكارى لضحايا الحرب من الفرنسيين ووقف محوطاً بأعضاء المجلس الوطنى للمقاومة وبدأ مسيره فى شارع الشانزليزيه نحو ميدان الكونكورد وسرعان ما تبدد كل شك فى قبول الشعب الفرنسى لزعامته . إذ توافدت على الطريق أعداد هائلة من أفراد الشعب الفرنسى يفوق كل ما كان منتظراً يهتفون له ويحيونه وكانت تلك التحية هى بيعة الشعب الفرنسى له . لم يجد دى جول ما يصف به تدفق تلك الجماهير فى ذلك اليوم ألا أنه كان كتدفق أمواج البحر ، يضيف دى جول فى مذكراته « كان من الممكن أن تنفجر الغام بثها العدو أو أن تمر طائراته فتلقى بقنابلها على تلك الجماهير الغفيرة أو أن تقذفها برصاص الرشاشات من الجو معا كان قد يؤدى إلى حصد تلك الجماهير والقضاء عليها أو إشاعة الذعر بينها ، ولكنى كنت واثقاً فى تلك الأمسية من قدر فرنسا . »

بعد هذا اللقاء التاريخى بين الجنرال دى جول وشعب باريس لم يصبح هناك أدنى شك فى أن الشعب الفرنسى قد قبل دى جول رئيساً مؤقتاً لجمهورية جديدة فى فرنسا .

الجنرال دى جول فى الحكم :

عندما تولى دى جول السلطة بعد التحرير كان قد تكون حزب من الذين خرجوا بسلاحهم من صفوف المقاومة السرية وسموا أنفسهم « حزب الذين ضربوا بالرصاص » ، وقد اتسع نفوذهم وسلطانهم ونسبوا إلى أنفسهم أنهم أصحاب ثورتين ، ثورة ضد العدو الألمانى وثورة الصراع الطبقي ، وكانت لدى هذا الحزب كل الفرص ليكون أكبر سلطة فى فى فرنسا بسبب سوء الأحوال الاقتصادية والاجتماعية التى سادت فرنسا

خلال سنوات الاحتلال فكان على دى جول أن يعمل سريعاً لصدد هذا التيار الشيوعى . كانت طبقة البرجوازية الفرنسية تتعاطف مع نظام الماريشال بيتان الذى أنهى ومع علم تلك الطبقة بأن دى جول هو السد المنيع فى فرنسا ضد الشيوعية فقد كانت تحشاه لاعتقادها بأنه سوف يلجأ إلى أستعمال العنف ووسائل الانتقام وإجراءات التطهير والثورة الاقتصادية .

لم يكن دى جول يريد أن يصبح رئيساً كلاسيكياً لفرنسا يكفى بأن يلبس الجاكت ويرأس الحفلات ويقص الشرائط لأفتتاح المؤسسات ولذلك فقد حرص على أن يظهر أمام الشعب على الدوام بسترته العسكرية تأكيداً بأنه لا يزال رئيساً عسكرياً . كان لا يبتسم عندما يصافح أحداً وكان يركز عينيه على شئ أو على شخص خلف محدثه كما لو كان ينظر إلى هذا الشئ أو إلى هذا الشخص . كان يحدث نفس الشئ عندما يلقى خطاباً ، كان يوجه صوته كما كان يخطب فى أشباح ولا وجود لجمهور يستمع إليه . كان يقف مشدود القامة رافعاً كلتا يديه إلى أعلى كما لو كان يعبر عن عناد قوى . كانت جماهير الفرنسيين عندما تنصت إليه وهو يخطب يصيحبها الضيق فى كثير من الأحيان ولكن غالبيتها كان يسودها الاعتقاد بأن أبطال التاريخ هم دائماً أناس ليسوا كسائر الناس . فجأة وجد دى جول نفسه فى عزله هو بحاجة إليها لكي يعود فيفرض سلطانه .

فى ٩ سبتمبر سنة ١٩٤٤ أدخل دى جول تعديلاً على تشكيل الحكومة المؤقتة التى يرأسها فأصبحت مكونة من اثنين من الشيوعيين وثلاثة من الاشتراكيين وثلاثة من الجمهوريين الشعبيين وأربعة من الراديكاليين .

لم ير دى جول بأن الوقت قد حان لإجراء انتخابات عامة فعين مجلساً استشارياً مكوناً من ٢٤٨ عضواً احتفظ فيه بـ ١٤٨ مقعداً لممثلى قوات المقاومة داخل فرنسا وافتتح المجلس فى ٧ نوفمبر سنة ١٩٤٤ .

بدأ دى جول حكمه بمواجهة مشاكل ما بعد الحرب الخطيرة ، مشاكل اجتماعية واقتصادية ومالية لا حصر لها وتخريب وتدمير ليس له حدود ،

كانت سنة ١٩٤٤ سنة قاسية على الشعب الفرنسى فقد عمد طيران الحلفاء خلال فصل الربيع إلى قصف الطرق والكبارى وخطوط السكك الحديدية ومحطاتها ومصانع الأسلحة قصفاً مركزاً ومستديماً تمهيداً لغزو فرنسا ، كما قامت قوات المقاومة داخل فرنسا بنصيبها الوافر فى عرقلة المجهود الحربى الألمانى . عندما نزلت قوات الحلفاء على ساحل نورماندى فى شمال فرنسا وتوغلت فى الأراضى الفرنسية فى النصف الثانى من العام لجأ الألمان فى تقهقرهم إلى نفس وتخريب وتدمير كل شىء من ورائهم . لم يبق من خطوط السكك الحديدية التى كانت موجودة بفرنسا سنة ١٩٣٩ إلا نصفها فى نهاية سنة ١٩٤٤ وأصبحت غالبية موانى البلاد فى نهاية العام إما لا تزال فى قبضة الألمان وإما غير صالحة للاستعمال ، كما أصبح ثمن كافة مساكن الشعب الفرنسى غير صالحة للسكنى . حدث كل هذا فى بلد كان الإنتاج الاقتصادى فيه متوقفاً عن الارتفاع منذ سنة ١٩٣٠ حتى أندلاع الحرب . معنى كل ذلك أن الجنرال دى جول يحكم بلداً معبأً بالمشاكل المستعصية ويواجه متاعب لا حصر لها ، فى كلمات قليلة كان الشعب الفرنسى على شفا مواجهة الجوع والفاقة .

فى ٢٣ أكتوبر سنة ١٩٤٤ أقرت الدول العظمى بحكومة الجنرال دى جول على أنها الحكومة المؤقتة لفرنسا وتعهدت بأن تعطى فرنسا مقعداً دائماً فى مجلس الأمن التابع للمنظمة الدولية المزمع انشاؤها طبقاً لما جاء بميثاق الاطلنطى الموقع فى سنة ١٩٤١ .

فى ١٠ نوفمبر سنة ١٩٤٤ وصل تشرشل وانتونى إيدن إلى باريس وفى نفس اليوم التالى أحتفلت فرنسا بعيد الهدنة للحرب العالمية الأولى وذلك لأول مرة بعد أستعادتها لحريتها . أستقبل الباريسيون تشرشل وكان يجلس بجوار دى جول أستقبالاً حماسياً منقطع النظير . كان تشرشل - رغم كل شىء - يمثل للشعب الفرنسى شجاعة بريطانيا وعودة عهد الوفاق بين بريطانيا وفرنسا وأطلق الباريسيون على تشرشل « الأسد العجوز تشرشل » كان تشرشل قد أعلن قبل حضوره إلى باريس ببضعة أيام فى مجلس العموم

البريطاني « بأن فرنسا ستستعيد دورها الشرعي والتاريخي الذي ينتظرها على المسرح الدولي » .

في ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٤٤ وجه دى جول دعوة إلى الرئيس روزفلت لزيارة باريس ولكن الرئيس روزفلت لم يكلف نفسه حتى عناء الرد على الدعوة . أهدى الجنرال دى جول وساماً فرنسياً رفيعاً إلى الجنرال آيزنهاور وكان يأمل أن يؤدي ذلك إلى تصفية الجيوبين البلدين ولكن المستقبل كان نجباً مصاعب أخرى كبيرة في علاقات البلدين . (كان الرئيس روزفلت قد رفض مدة طويلة أن يعترف بمركز دى جول وظل محافظاً على علاقات ودية مع حكومة الماريشال بيتان في فيشي حتى نهاية الحرب في فرنسا تقريباً) .

في ٢ ديسمبر سنة ١٩٤٤ وصل الجنرال دى جول إلى موسكو عاصمة الدولة التي كان شعبها خلال سنوات الحرب « شعباً عزيزاً قوياً » ، وفي ١٠ ديسمبر سنة ١٩٤٤ وقع اتفاقاً مع الروس وافق دى جول بمقتضاه على الاعتراف بنحط الحدود « أودر - نيس » ولكنه رفض الاعتراف بشرعية « لجنة لوبلين » التي ستكون نواة لحكومة بولندية ذات أغلبية شيوعية ، كما رفض تكوين كتلة سياسية واحدة من بريطانيا وفرنسا وروسيا . لما كانت المفاوضات التي أرادها دى جول في زيارته الرسمية هذه تهدف بالدرجة الأولى إلى الاتفاق على مستقبل ألمانيا فقد حاول دى جول أن يقنع ستالين بوجهة نظره عن مستقبل ألمانيا كما يلي : تقسيم ألمانيا : أشرف دولي على حوض نهر الرور : التعويضات : تخطيط حدود جديدة لألمانيا المقسمة . لم تلق تلك المقترحات لدى الروس سوى استجابة مسكنة ولم يحصل دى جول على ما كان يأمله من أن يجد في ستالين سنداً لمناهضة مخاطر تسلط الجبهة الاجلوساكسونيه على أوروبا والاعتراف به طرفاً في تقرير مصير ألمانيا .

عودة الجيش الألماني إلى الهجوم :

بيما أعتقد الفرنسيون بأن الحرب قد أنهت عادت القوات الألمانية في الأيام الأولى من شهر ديسمبر سنة ١٩٤٤ إلى الهجوم على طول جبهة

الأردن شعر آيزنهاور بهذا التهديد الموجه إلى قواته إذ لم يكن تحت امرته على هذه الجبهة التي تمتد من الاردن حتى ستراسبورج سوى فرق يستولى عليها التعب بعد أن نزلت على الساحل في نورماندى . في نهاية شهر ديسمبر أمر آيزنهاور بإخلاء الألزاس وترك ستراسبورج . كان دى جول يرى بأنه مع تقديره للظروف العسكرية التي أجبرت آيزنهاور على اتخاذ هذا القرار فإنه بوصفه رئيساً مؤقتاً للدولة الفرنسية يقدر معنى دخول الجنرال « ليكلير » ستراسبورج يوم ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٤٤ ثم الانسحاب منها وإن إخلاء الألزاس معناه القضاء على المدنيين الذين أظهروا عداءهم للألمان بعد تحريرهم ، وإن حدث ذلك فسوف يكون له أثر سيء في كل فرنسا ولم يتردد دى جول في إعطاء الأمر إلى الجنرال الفرنسي « دى لاتردى تاسيني » قائد الجيش الأول الفرنسي بالدفاع عن ستراسبورج مهما كان الثمن . استشاطت قيادة الحلفاء غضباً واتهمت دى جول بأنه يخاطر بعناده بالإطاحه بكل خطة البريطانيين والأمريكيين . كاد هذا الخلاف يؤدى إلى فصم التعاون بين دى جول وقيادة الحلفاء . فجأة عدل آيزنهاور من خطته وقال « لست متأكداً عما إذا كان دى جول على حق ولكن طالما أصبحنا في هذا الوضع فليس لنا خيار الآن ، إذا ما نجحت العملية فسيكون هذا القرار دليلاً على أنه جنرال عظيم » . قامت قوات الحلفاء بهجوم مضاد على القوات الألمانية التي صمدت ولكنها بدأت في التقهقر . في ٩ فبراير سنة ١٩٤٥ أنهت معركة الألزاس وقضى على آخر هجوم كبير للجيش الألماني . أصبح الجيش الفرنسي الآن يحتل أماكن عدة .

الجنرال دى جول أمام الجبهة الداخلية :

كان دى جول قد بدأ في شهر ديسمبر سنة ١٩٤٤ في إصدار قرارات التأميم وأتم خلال سنة ١٩٤٥ أكبر وأهم تحول وتغيير في تاريخ الاقتصاد الفرنسي الأمر الذي أغضب طبقة البرجوازية ، كما فقد تأييد وعطف جانب له وزنه من الرأي العام بسبب إجراءات التطهير . أرادت منظمات المقاومة وأحزاب اليسار أن تأخذ العدالة مجراها بمعاقبة الذين تعاونوا مع الذى أحتل البلاد لمدة أربع سنوات بل كان منهم من ينادى بأن إجراءات

التطهير التي أخذها دى جول لم تكن كافية بسبب عدم شدتها وعدم شمولها ، قيل بأن تلك الاجراءات قد شملت عدداً يتراوح ما بين ٤٠ و ١٣٠ ألفاً من بينهم الكثيرون الذين أعدموا أو أختفوا أو جردوا من ممتلكاتهم :
حوكم الماريشال فيليب بيتان فى شهر يوليه سنة ١٩٤٥ وكانت محاكمته مثار غضب وقلق فريق كبير من الرأى العام بسبب الضغوط الكبيرة التي كانت تمارسها أحزاب اليسار على الجنرال دى جول فى تلك المحاكمة .

كان على دى جول أن يرسى دعائم مستقبل المؤسسات الدستورية فى الجمهورية الجديدة ، وفى يونيه سنة ١٩٤٥ أثار فى مؤتمر صحفى ثلاثة احتمالات ، الاحتمال الأول أحترام دستور سنة ١٨٧٥ والاحتمال الثانى انتخاب مجلس تأسيسى لوضع دستور جديد والاحتمال الثالث إجراء استفتاء شعبى مباشر على نصوص دستور جديد يوضع بواسطة خبراء قانونيين . كان واضحاً أن دى جول يحدد الاحتمال الأخير ولكن الأحزاب الثلاثة الكبرى أعلنت تأييدها للاحتمال الثانى (الأحزاب الثلاثة الكبرى فى ذلك الوقت كانت الحزب الشيوعى وحزب S.F.I.O. أى القسم الفرنسى لحركة العمل الدولية Section Francaise de l'Internationale Ouvrière وكان قد أنشأ سنة ١٩٠٥ ويعبر عن نفسه بالحزب الاشتراكى ، ثم حزب M. R. P. أى الحركة الجمهورية الشعبية ، وكان قد تكون سنة ١٩٤٤ ويضم الديموقراطيين المسيحيين) . هذا وقد أعلن الراديكاليون والمعتدلون تأييدهم للاحتمال الأول وضرورة أحترام نصوص دستور سنة ١٨٧٥ .

فى شهر يوليه سنة ١٩٤٥ أجرى دى جول استفتاء للشعب الفرنسى عن مستقبل المؤسسات الدستورية فكانت النتيجة مؤيدة لما كان يراه فى مشروعه المقدم إلى الشعب إذ حصل على تأييد ٧٣٪ من الذين أعطوا أصواتهم بأن يكون المجلس الذى سينتخب مجلساً تأسيسياً لوضع دستور جديد للجمهورية الجديدة الرابعة كما حصل على ٥٠٪ من الذين أدلوا بأصواتهم بالموافقة على تنظيم السلطة العليا كما اقترحتها دى جول :

أجريت انتخابات المجلس التأسيسي الجديد في أكتوبر سنة ١٩٤٥ وكانت نصراً ضخماً لدى جول غير أن الحزب الشيوعي خرج منها أكبر الأحزاب السياسية في فرنسا إذ حصل على خمسة ملايين صوتاً . وطبقاً لما نص عليه الاستفتاء بأن المجلس التأسيسي الجديد هو الذي سيعين رئيس الجمهورية فقد قدم دي جول في ٦ نوفمبر سنة ١٩٤٥ استقالته إلى المجلس الجديد من منصب رئيس الحكومة المؤقت وترك للمجلس حرية اختيار الرئيس الجديد وأمام خلافات الأحزاب أعلن بأنه ليس مرشحاً لكي ينتخب رئيساً للجمهورية ، ومع ذلك فقد كانت نتيجة الاقتراع لأول مرة على اسم رئيس الجمهورية الجديد حصول الجنرال دي جول على الأغلبية الإجماعية بـ ٥٥٥ صوتاً وبذلك أصبح الجنرال دي جول رئيساً منتخباً للجمهورية .

دي جول والحزب الشيوعي :

كان للحزب الشيوعي في المجلس الجديد مائة وخمسين مقعداً وكان يرى بأن بيده مفتاح الموقف السياسي . كان الشيوعيون لا يعترضون على شخصية دي جول ولكنهم يصممون على تحديد سلطاته ولا يوافقون على تحديد سلطات المجلس . كان الحزب الشيوعي يريد تكوين حكومة من أحزاب اليسار ، إلا أنه لا يستبعد إمكان الاتفاق على تشكيل حكومة من الأحزاب الثلاثة الرئيسية (الحزب الشيوعي - الحزب الاشتراكي - وحزب الحركة الجمهورية الشعبية) برئاسة الجنرال دي جول بشرط تعديل موازين القوى ولكن هذا الاحتمال لم ينل قبولا لدى الحزبين الآخرين ولا من الجنرال دي جول .

طالب الحزب الشيوعي بوزارات الخارجية والداخلية والدفاع وصمم عليها وأمام المشاكل التي أثارها الحزب الشيوعي أخذ دي جول قراراً خطيراً بالاستقالة من منصب رئيس الجمهورية الذي أنتخبه منذ ثلاثة أيام فقط ولجأ إلى الراديو لشرح أسباب استقالته للشعب الفرنسي وقال « يمكن أشراك الشيوعيين على نطاق واسع في مشروعات التنمية الاقتصادية

والاجتماعية للحكومة ولكن لا يمكن أن يتولوا المراكز الأساسية لسياسة فرنسا الخارجية وهي الدبلوماسية التي تعبر عن هذه السياسة والجيش الذي يؤيد هذه السياسة والبوليس الذي يحافظ عليها » قامت مظاهرات في أنحاء فرنسا تؤيد دي جول وترفض قبول أستقالته . لم يقبل المجلس التأسيسي أستقالة دي جول ، وفي ٢١ نوفمبر شكل وزارة برئاسته لم يحصل فيها الشيوعيون على الوزارات الثلاث التي يطالبون بها ، ولكن سكرتير عام الحزب الشيوعي « موريس توريز » أصبح فيها وزيراً للدولة وتولى أحد أعضاء الحزب وزارة التسليح كما تولى ثلاثة آخرون منهم متاصب وزارية أخرى منها منصب نائب رئيس مجلس وزراء ، وفي ٢٣ نوفمبر حصل دي جول على ثقة اجماعية بحكومته الجديدة من المجلس .

بدفعة من الاجراءات التي اتخذها دي جول منذ ديسمبر سنة ١٩٤٤ في قوة وحزم أنصرف كل فرنسي وفرنسية إلى العمل المنتج وكانت معجزة هذا العمل المتواصل أن وصل إنتاج الفحم في أبريل سنة ١٩٤٥ إلى مستوى إنتاج سنة ١٩٣٨ وتضاعف إنتاج الصلب خمس مرات ووصل سير القطارات السكك الحديدية في مطلع عام ١٩٤٦ إلى مستوى ما قبل الحرب وكانت دفعة في الإصلاح الاقتصادي والاجتماعي لم تصل إليها أى بلد أوربي ، بعد الحرب ، ورغمما عن ذلك فقد ظلت مشاكل متخلقة عن الحرب تواجه دي جول وتتطلب الحل السريع .

بين الحالم والحقيقة - علاقة الجنرال دي جول بحلفائه في المعركة :

أصيب دي جول بخيبة أمل كبيرة ، إذ أجمع روزفلت وتشرشل وستالين في يالتا (من ٣ إلى ١٠ فبراير سنة ١٩٤٥) لتقرير مصير أوروبا المحررة ولم تدع فرنسا للاشتراك في الاجتماع . رغمما عن ذلك فقد تقرر في هذا الاجتماع أن تحصل فرنسا على منطقة تحتلها في ألمانيا وعلى مقعد في لجنة الرقابة التي عهد إليها بالإشراف المؤقت على إدارة شؤون ألمانيا . يرجع الفضل في ذلك إلى موقف بريطانيا إذ لم يبد ستالين - حليف دي جول الجديد - أى اهتمام بمطالب فرنسا .

كانت عدم دعوة فرنسا للاشتراك في مؤتمر يالتا إشارة إلى ما كان يخططه الحلفاء الثلاثة لحليفهم الرابعة . كان هدف دى جول هو أن تستعيد فرنسا مكانتها بين الدول الكبرى ، أما بالنسبة للانجلوساكسون فكان المهم هو وضع الأسس لتوازن دولي جديد ، ولذلك فقد كان الصدام أمراً لا مفر منه لا سيما وأن موضوع سوريا ولبنان كان لا يزال ماثلاً في ذهن دى جول .

محاولة هتلر أسئلة دى جول لكي يتفق مع زعماء ألمانيا الجدد :

يقول دى جول على صفحة ١٨٧ من المجلد الثالث من مذكراته بأنه عندما أستولى اليأس على أعوان هتلر وتبين لهم بأن الحلفاء قد أقترحوا من النصر النهائي في شهر ابريل سنة ١٩٤٥ تلقى كتاباً من هتلر يبدو فيه الحيلة والخديعة المخبأتين تحت الضيق والشدة ، جاء بهذا الكتاب ما نصه : « فهم كل منا : . . . واتفقنا . . . على أنك قد كسبت الجولة ، إن المرء عندما يعلم يا جنرال دى جول كيف بدأت هذا الصراع يجب عليه أن يخنى رأسه لك ويخفض قبعته كثيراً . . . ولكنك ماذا ستفعل الآن . . . هل ستلقى بنفسك إلى الانجلوساكسون . . . أنهم سيعاملونك معاملة التابع وسيقدونك كرامتك . . . هل ستتحالف مع السوفييت . . . ؟ أنهم سيخضعون فرنساً لسلطانهم وسيقومون بتصفيتك . . . الحقيقة هي أن الطريق الوحيد أمامك الآن لتقود شعبك إلى العظمة والاستقلال هو التفاهم مع ألمانيا المهزومة . . . إلى أدعوك لاعلان ذلك فوراً . . . أتصل فوراً وبدون إبطاء بالرجال الذين لا يزالون يمسكون بزمام السلطة في الرايخ الألماني ويعتزمون السير ببلادهم في اتجاه جديد . . . أنهم على استعداد . . . وأنهم يطلبون منك ذلك . . . أنك إن تغلبت على شعورك بالرغبة في الانتقام وإن أنهزت الفرصة التي يقدمها لك التاريخ اليوم فأنت ستصبح أعظم الرجال في كل العصور . . . » . يقول الجنرال دى جول تعليقاً على رسالة هتلر ما يلي نصه : « إذا ما نحينا جانبا المداهنة والتلق اللذين حلا بهما هتلر رسالته بالنسبة لشخصي وهو يبعث بها من على حافة قبره فإن هناك ولا شك حقيقة فيما ذهب إليه من تحليل . . . ولكن هتلر لم يتلق مني أى رد على

الرسالة : . . . إذ لم يكن لديه ما يقدمه . . . بعد أن عزله هتلر وولى الإمبرال دونتز خليفة له .

في ٨ مايو سنة ١٩٤٥ أحتفلت فرنسا بيوم النصر إذ أستسلمت ألمانيا ومات هتلر ودخلت قوات الحلفاء ألمانيا التي كانت قد خربت تماماً .

في أغسطس سنة ١٩٤٥ توجه الجنرال دى جول إلى واشنطن لشرح وجهة نظره بالنسبة لمستقبل ألمانيا وهي : تقسيم ألمانيا - إنشاء دولة صغيرة عازلة في حوض الراين ، كان الرئيس ترومان يقدر بأن وجهة النظر هذه لا فائدة منها ولذلك فلم يعر رأى دى جول اهتماماً ، غير أن دى جول لم يفقد عزيمته وعمل على فرض نفسه وآرائه على حلفائه فاضطر الحلفاء الثلاثة شيئاً فشيئاً إلى أستشارته حتى أصبحت فرنسا الدولة الكبرى الرابعة واتخذت مكانها بهذه الصفة في مفاوضات تسليم اليابان .

كان على دى جول أن يواجه التيار التحررى في أنحاء الامبراطورية الفرنسية . كان يأمل في أن يتمكن من المحافظة على الامبراطورية تحت اسم جديد هو « الاتحاد الفرنسى » لكي يتفادى المطامع الأجنبية ، ولكن التيار التحررى عبر أراضى الامبراطورية قد ازداد فبادر الجنرال دى جول بأن وعد بإجراء تعديلات ، أستقبل سلطان مراکش وبأى تونس وأفهمهما بأنه يمكن أستبدال نظام الحماية وإقامة وحدة ولكن الأحداث توالى بسرعة فقامت في ٨ مايو في المغرب اضطرابات قوبلت من سلطات الاحتلال الفرنسية بكل عنف . في الهند الصينية طالب الفيت مين بالاستقلال ولكن الجنرال دى جول أعلن تمسكه بمبدأ سيادة فرنسا في الوقت الذى قبل فيه أن يدرس ما يمكن عمله لإقامة نظام جديد . قابل الجنرال « ليكلير » الزعيم الفيتنامى هوشى منه وفي الوقت نفسه بعث دى جول بتعزيزات مسلحة لتأخذ مكانها في هانوى وسايجون ولم يكن أحد يفكر في ذلك الوقت في إثارة حرب ما .

في ديسمبر سنة ١٩٤٥ بدأت اللجنة التي عهد إليها المجلس التأسيسى

بوضع الدستور الجديد عملها وكانت أولى قراراتها الموافقة على أن يكون للجمهورية مجلس نيابي واحد ويكون له الحق في انتخاب رئيس الجمهورية ، وتحديد سلطات رئيس الجمهورية ، وكان معنى هذا في نظر دي جول بأن اتجاه اللجنة يسير في الطريق الذي يؤدي إلى إبعاده عن الحكم .

في أول يناير سنة ١٩٤٦ ورداً على مناورات الاشتراكيين في المجلس لعرقلة الموافقة على الميزانية المقدمة من الحكومة وجه دي جول خطاباً إلى أعضاء المجلس يلفت فيه أنظارهم إلى ضرورة أن يأخذوا في الاعتبار « الضرورات الملحة للسلطة وللكرامة والمسئولية للحكومة » . كان هذا الكلام يطوى إنذاراً للنواب بضرورة معرفتهم لواجباتهم في الظروف التي تمر بها البلاد . لما لم يستجب النواب لنداء الجنرال دي جول قرر أن يعتزل السلطة اعتقاداً منه أنه بإثارة هذه الأزمة الخطيرة سيهيب الشعب الفرنسي يطالب بعودته ولكنه كان متفائلاً أكثر مما يجب عن تعلق الشعب الفرنسي بشخصه .

في ٤ يناير سنة ١٩٤٦ غادر دي جول باريس متوجهاً إلى مدينة أنتيب على ساحل فرنسا الجنوبي بحجة الراحة ولكنه في الواقع كان يخطط لترك السلطة . لم يكن قد مضى على تشكيل وزارته الأخيرة سوى شهرين أتمت فيهما مشروعات قوانين التأمين للإنتاج ومصادر توزيع القوى الكهربائية والغاز ، وقد تم ذلك بدون نظر إلى أية مصلحة سوى مصلحة الدولة فقط ، غير أنه قامت أحداث أدت إلى قيام بعض الوزراء بمعارضة دي جول . هدد موظفو الدولة بالاضراب العام لعدم تناسب مرتباتهم مع تكاليف المعيشة ووجد الموظفون حلفاء لهم من بين النواب الاشتراكيين الذي عرفوا باهتمامهم بشئون موظفي الدولة وقد سويت هذه الأزمة بفضل تدخل الحزب الشيوعي الذي لا يريد إسقاط الحكومة في الوقت الحاضر . عاد الاشتراكيون إلى إلقاء قبلة ثانية فاقترحوا عند نظر ميزانية الدولة عن سنة ١٩٤٦ خفض ميزانية الدفاع بمقدار ٢٠ في المائة بعد أن هاجموا ميزانية الدفاع بشدة أمام الجنرال دي جول بالمجلس . ومع أن هذا الهجوم لم يؤدي إلى أزمة خطيرة إلا أن الجنرال شعر بأن الخلافات التي

تنشب بالمجلس تعرقل سياسته الخارجية أو كما يقول في مذكراته « لقد طفح الكيل من كل الجهات » ويضيف « في آنتيب وبالتروى والتفكير أمام مياه البحر رسمت لنفسى الطريقة التى أترك بها السلطة وهى أن أترك منصبى فى صمت دون أن أتعرض لأى شخص سواء فى السر أو فى العلانية ودون أن أقبل أى مهام أخرى أو أن أقبل تكريماً أو معاشاً ، وأخيراً بدون أن أعلن عما اعتزم القيام به بعد ذلك ، وأكثر من أى وقت مضى يجب على أن احتفظ لنفسى بمكان فوق مستوى الخلافات » .

عاد دى جول إلى باريس ، وفى صباح يوم أحد الموافق ٢٠ يناير سنة ١٩٤٦ دعا كافة وزرائه إلى الحضور إلى وزارة الحربية . يقول دى جول فى مذكراته « دخلت إلى القاعة وصافحتهم جميعاً ودون أن يجلسوا وجهت إليهم الكلمة التالية : « لقد عاد إلى الظهور التناحر الحزبى المستهجن وأنا لا أقبله ، وبدون أن أقيم دكتاتورية بالقوة لا أود أن أقيمها لأنها ستقلب بدون شك إلى وضع سىء فأنا لا أملك وسيلة يمكننى بها أن أمنع هذا التناحر الحزبى ، ولذلك فإننى أرى من واجبى أن أنتحى عن منصبى . اليوم سأوجه خطاباً إلى رئيس المجلس أخطره باستقالتي . اننى أشكر مخلصاً كلا منكم على المساعدة التى قدمها إلى وأرجوكم البقاء فى مناصبكم لتصريف الأعمال الجارية لحين تعيين من ي خلفكم » . يضيف دى جول بأن أحداً من الوزراء لم يعقب بكلمة على هذا البيان سواء بطلب أن أعدل عن قرارى أو يبدى أسفه للقرار الذى اتخذته .

فى ٢٣ يناير سنة ١٩٤٦ قرر المجلس التأسيسى تعيين رئيسه « فيلكس جيوان » رئيساً للحكومة ، وفى ٢٦ يناير حصل على ثقة المجلس وبذلك اختفى الجنرال دى جول من المسرح السياسى . يقول دى جول فى مذكراته « لم يحدث اضراب ولا مظاهرات ولم تعقد اجتماعات ولم تقدم عرائض ... وكيف يمكن للأحزاب أو النقابات أن تتزعم معارضة قرارى التى كانت هى السبب فيه . . . اقتصررت الصحافة فى مجموعها على إيراد النبأ وكانت صحيفة « كومبا » هى الصحيفة الوحيدة التى أبدت أسفها

وأوضحت إلى أى حد يؤدى اعتزال الجنرال دى جول إلى نهاية حقبة من تاريخ فرنسا » .

لاشك أن الجنرال دى جول كان يتساءل فى قرارة نفسه عما إذا كان الشعب الذى خرج لتحيته منذ سنتين تحية البطل الظافر المنتصر سيخرج اليوم ليطالب بعودته إلى السلطة .

من يناير إلى مايو سنة ١٩٤٦ انزوى دى جول فى منزل متواضع فى مدينة « مارلى » بالقرب من باريس الكى يكون على مقربة من الأحداث ولكى يستعد للرد على من يهاجمه ولكن أحدا لم يعد حتى يتكلم عنه ، وهو لا يعمل شيئاً ولا يقول شيئاً .

أجريت انتخابات لمجلس تأسيسى فى ٢ يونيه سنة ١٩٤٦ أسفرت عن فوز حزب « الحركة الجمهورية الشعبية » فأصبح أكبر الأحزاب السياسية الفرنسية ولذلك فقد عين جورج بيدو زعيم هذا الحزب رئيساً للحكومة المؤقتة فى ١٩ يونيه سنة ١٩٤٦ . بالنسبة للجنرال دى جول فإن فوز « الحركة الجمهورية الشعبية » يجعل عودته أمراً محتملاً ، ولكن جورج بيدو شخصية غامضة فهل كان فى الحقيقة من أوفى أنصار دى جول — كما كان يعتقد — أم أنه كان فقط أقلهم عداءً لدى جول (جورج بيدو كان رئيس المجلس الوطنى للمقاومة قبل التحرير وهو الذى أنشأ حزب الحركة الجمهورية الشعبية سنة ١٩٤٤) .

دى جول يقرر العودة إلى المسرح السياسى :

فى ١٢ مايو سنة ١٩٤٦ قام الجنرال دى جول بزيارة مقبرة جورج كليمانصو . لم تكن هذه الزيارة الأولى من نوعها ، بل أن دى جول كان قد سبق له أن احتفل بذكرى كليمانصو الذى كان فى سنوات ١٩١٧ و ١٩١٨ و ١٩١٩ رمزاً لإرادة النصر وتوحيد كلمة الفرنسيين ، وأمام قبر كليمانصو دعا دى جول كافة الفرنسيين إلى توحيد كلمتهم واستعادة القيم التى دافع عنها كليمانصو وأن لا سبيل إلى الوصول إلى هذا الهدف إلا بإقامة دولة قوية لشعب موحد ، وكان هذا الخطاب بمثابة عودة الجنرال دى جول إلى العمل

السياسى ، وفعلا فقد ألقى بعد ذلك خطاباً ثانياً فى بلدة « بايو » فى أوائل شهر يونيه رسم فيه الخطوط الرئيسية للدستور يضمن للدولة هذه القوة ولفرنسا الأمان والحرية (كانت بلدة بايو هذه أول بلدة حررت فى سنة ١٩٤٤ وأول بلدة تستقبل رئيس فرنسا الحرة بعد التحرير) . هاجم دى جول تناحر الأحزاب واهتمها بتناسى مصلحة الدولة العليا ، ثم ناشد الفرنسيين أن يطالبوا بمؤسسات قادرة على أن تجعلهم يقومون بدورهم على مسرح السياسة الدولية والمحافظة على سلامة أراضيهم . أصبح الجنرال دى جول من الآن وبعد عودته إلى العمل السياسى قوة سياسية على مسرح السياسة الداخلية يجب أن يعمل حسابها .

كان مفهوم دى جول للمؤسسات الدستورية التى يجب أن تقوم فى فرنسا بعد الحرب يختلف كلية عن المفهوم الفرنسى التقليدى للجمهورية وكان لتعبيره عن هذا المفهوم فى خطبه الأخيرة تأثير كبير لدى السياسيين . وصف الشيوعيون مفهوم دى جول بأنه مفهوم فاشستى ، وقال عنه الاشتراكيون بأنه مفهوم مناهض للديمقراطية ، وتردد حزب الحركة الجمهورية الشعبية فى الإفصاح عن رأيه . أعلن الاشتراكيون بأنهم لن يقبلوا النظام الرئاسى الذى دعا إليه الجنرال دى جول وانضم إليهم فى ذلك حزب الحركة الجمهورية الشعبية فشعر دى جول بحرج مركزه ودعوته فبادر بالقاء عدة خطب وإصدار عدة بيانات إلى الصحف وأخذ يكرر ما سبق أن نادى به مؤكداً عند الحديث عن وضع فرنسا فى أوروبا « لا يمكننا أن نقوم بدورنا فى أوروبا إن لم تنظم الدولة لتكون ذات فعالية متحدة ولها طابع الاستمرار » .

بعد كل ذلك وافق المجلس التأسيسى فى ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٤٦ على مشروع الدستور الجديد الذى سيطرح للاستفتاء الشعبى يوم ١٣ أكتوبر سنة ١٩٤٦ . ورغم معارضة دى جول الشديدة فقد صوت الشعب الفرنسى بالموافقة على مشروع الدستور الجديد .

لم يكن أمام دى جول الآن فى كفاحه السياسى إلا أن ينزوى ويستسلم

ولما أن يكون لنفسه حزباً وبذلك يدخل في نطاق السياسة الحزبية التي لا يريد لها .

في ١٠ نوفمبر سنة ١٩٤٦ فاز الحزب الشيوعي في الانتخابات التشريعية الجديدة التي جرت في نطاق الدستور الجديد وأصبح أكبر الأحزاب السياسية الفرنسية ولكن تبين بأن عدداً كبيراً ممن لهم حق التصويت قد امتنعوا عن الإدلاء بأصواتهم . وفي ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٤٦ انعقد المجلس الجديد لانتخاب رئيس للحكومة ولم يتمكن من ذلك لعدم حصول « مورييس توريز » سكرتير عام الحزب الشيوعي أو جورج بيدو ، زعيم الحركة الجمهورية الشعبية على العدد الكافي من الأصوات لانتخابه ولذلك فقد اتجه الرأي إلى « ليون بلوم » الزعيم السابق للجبهة الشعبية وهو شخصية تاريخية يمكنها أن تتحمل مسئولية الفترة الانتقالية حين انتخاب رئيس للجمهورية . لم يتمكن ليون بلوم من تشكيل حكومة ائتلافية من كافة الأحزاب وقام بتشكيل الحكومة الجديدة من الاشتراكيين وحدهم وحصل على ثقة المجلس في ١٧ ديسمبر سنة ١٩٤٦ .

في ١٦ يناير سنة ١٩٤٧ اجتمع المجلس النيابي الجديد في فرساي وانتخب المسيو فنسان أوريول رئيساً للجمهورية . عهد الرئيس الجديد إلى « بول راماديه » من الاشتراكيين بتشكيل أول حكومة في عهد الجمهورية الفرنسية الرابعة فتمكن في ٢٢ يناير من تشكيل حكومة ائتلافية اشتركت فيها كافة الأحزاب فيما عدا أحزاب اليمين وأنصار دي جول . تولى الشيوعيون في تلك الوزارة وزارة الدفاع . في ٢٨ يناير نالت الوزارة الجديدة ثقة المجلس النيابي وبذلك أصبحت لفرنسا حكومة دائمة ودستور جديد ، وبدأت سفينة الجمهورية الرابعة تتهدى ببطنى نحو أعالي البحار تاركة وراءها بالميناء الجنرال الذي ربما طواه النسيان .

الجنرال دي جول يعلن تشكيل حزب سياسي له :

في ٧ أبريل سنة ١٩٤٧ وبمدينة ستراسبورج أعلن دي جول عن تكوين تجمع سياسي أسماه « تجمع الشعب الفرنسي » Rassemblement du

Pevle Français فبادر الشيوعيون والاشتراكيون فاتهموه بالدكتاتورية . أما الراديكاليون وأعضاء الحركة الجمهورية الشعبية فانتظروا حتى يتضح الموقف . على مدى ثلاثة أسابيع تلقت سكرتارية الحزب الجديد ٨١٠ ألف طلب انضمام وظل دى جول يطوف كافة أنحاء فرنسا يلقي الخطب ويهاجم فيها الأحزاب السياسية الصغيرة ويندد بالشيوعيين ويصفهم بالانفصاليين ؟ وفى ٤ مايو سنة ١٩٤٧ أبعد « بول راماديه » رئيس الحكومة الوزراء الشيوعيين من حكومته .

انتقل حزب دى جول الجديد من نصر إلى نصر إذ حصل مرشحوه فى الانتخابات البلدية التى أجريت فى شهر أكتوبر من عام ١٩٤٧ على الأغلبية المطلقة فى مجلس بلدى باريس واستمر الحزب يعزز مركزه فى كافة المدن الكبرى وظل دى جول يشرف بنفسه على كافة شئون الحزب حتى وصل عدد المنضمين إليه فى نهاية العام إلى مليون عضو ، وقدر عدد مؤيدى دى جول بثلاث الشعب الفرنسى ، ومع ارتفاع هذه النسبة لم يكن دى جول راضياً بها ويرى بأن الحركة تسير ببطئ . لجأ دى جول إلى أعوانه القدامى من أنصاره فى حركة فرنسا الحرة من كبار الضباط وسائر الجنود يدعوهم ويستحثهم على الانضمام إلى الحركة الجديدة . كان أندريه مالرو يتولى تنظيم الاجتماعات وكتابة خطب دى جول ، وظل دى جول يطوف بأثناء فرنسا لمدة ست سنوات يسمع هتاف الفرنسيين له ودعوتهم له بالعودة لتولى السلطة ولكن سياسة الحكومة القائمة والسلطات التى تحكم فرنسا تسير فى الاتجاه الدستورى الذى رسمته لنفسها بدون دى جول .

زادت حدة خطب دى جول سنة بعد أخرى وأصبحت كلماته مثل طلقات الرصاص فى مهاجمة أعضاء البرلمان وأعضاء الحكومة . كانت موضوعات خطبه لا تتغير فهى دائماً عن طريقة الحكم وشكل السلطة لتتمكن فرنسا من أن تقوم بدورها فى أوروبا وفى العالم .

أصدر دى جول صحيفة أسبوعية أسماها « الشرارة الفعالة » لتأييد

حركته ثم أصدر بدلا عنها صحيفة أسبوعية أخرى في فبراير سنة ١٩٤٨ أسماها « حرية الفكر » فنالت نصيباً من النجاح وكان الهدف منها إبعاد الطبقة المثقفة عن الافتتان بالشيوعية .

في مجال العمل السياسي تنحصر المبادئ التي كان الجنرال دي جول يدعو إليها في تحرير النظام الجمهوري من الاقطاع الحزبي وأن تعمل السلطة لخدمة الشعب وتصفية عوامل التفرقة بين طبقات الشعب وتجميعه تحت لواء دولة عادلة قوية مع فرض النظام في أجهزة الخدمات العامة وفي شئون الإدارة والمال ، وزيادة الإنتاج بإشراك العمل ورأس المال في الصناعة والوصول إلى هدف أن تكون فرنسا مخزناً للغلال لتموين غرب أوروبا ويتحقق ذلك بتجهيز الزراعة بالوسائل الحديثة ، أما في مجال الدفاع فكانت سياسة دي جول تكوين جيش حديث يليق بفرنسا .

أما في مجال السياسة الخارجية فعمل على أن يصبح الاتحاد الفرنسي الذي يضم أنحاء الامبراطورية الفرنسية فيما وراء البحار اتحاداً فرنسياً وتزعم أوروبا نحو الوحدة لتقوم بدورها في حفظ السلام مع دول الأطلسنطي كشركاء لا كأتباع لأسياد .

وأخيراً — كما كان يقول دي جول — أن تكون فرنسا هي فرنسا . في كافة المواضيع التي هاجم فيها دي جول النظام البرلماني الحزبي القائم كان هناك موضوع واحد عرف طريقه إلى نفوس أفراد الشعب واقتنع بحجة دي جول عنه هو عندما قال بأنه ليست هناك أمة يمكنها أن تنهض برزانة وليس هناك عمل يمكن اتمامه بصورة صحيحة ما لم يكن هناك قدر كاف من الاستقرار للقائمين به ، ولكن فرنسا ضربت الرقم القياسي في الأزمات الوزارية إذ تعاقب عليها في المدة من ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٤٧ حتى ٩ مارس سنة ١٩٥١ خمسة رؤساء وزارات وبدا وكأن إسقاط الوزارات أصبح مهمة الحياة البرلمانية في فرنسا .

اعتاد الرأي العام الفرنسي على تلك الأزمات الوزارية وكان كلما

أسقط البرلمان وزارة لم يسع الرأي العام إلا التهم ، ولكنه في حقيقة الأمر كان يشعر بأسمى في نفسه .

كان شهر يونيه سنة ١٩٥١ هو شهر الانتخابات التشريعية الجديدة ، وفيها فاز حزب دى جول بـ ١١٨ مقعداً ، وحصل الشيوعيون على ١٠٣ مقاعد وحصل المعتدلون على ٩٨ مقعداً والراديكاليون على ٩٤ مقعداً والحركة الجمهورية الشعبية على ٨٥ مقعداً والأحزاب الاشتراكية على ١٠٤ مقاعد .

كانت النتيجة لا تعطى نصراً حاسماً لدى جول ولكن ما كادت تعلن تلك النتيجة حتى نادى حزبه بأحقية في تولى السلطة ولكن أحزاب الوسط رفضت الاستجابة إلى ذلك . استمرت الأزمة الوزارية في تشكيل الوزارة طوال شهر يوليه وأخيراً في ٨ أغسطس اتفق على أن يتولى رئاسة الوزارة المسيو « رينيه بلفن » وحصل على تأييد ٣٩١ صوتاً ضد ١٠٢ . بقي في الحكم لمدة خمسة أشهر ، جاء بعده « انطوان بيناى » وبعد ثلاثة أشهر من تشكيل تلك الوزارة استقال ستة وعشرون نائباً من حزب دى جول من الحزب . كانت هذه الاستقالات نذير تفكك خطير في الحزب . لم تكن هناك أرضية مشتركة بين دى جول ونواب حزبه ولم يتكون تفاهم ولا تآلف بينه وبينهم فقطع دى جول علاقته بالحزب الذى كونه وعاد دى جول وحيداً من جديد .

لم يتأثر نواب حزب دى جول بانسحابه من المسرح السياسى فقد كانوا قد اندمجوا في الحياة الحزبية البرلمانية واعتادوا على ممارستها ، حتى أنهم في شهر يناير سنة ١٩٥٣ أيدوا تشكيل حكومة جديدة برئاسة « رينيه مايير » ، وفي مايو من نفس السنة أسقطوها . أعلن أحد زعمائهم بعد ذلك « لسنأ أمواتاً إذ يمكننا أيضاً أن نخرب » ، وكان غريباً أن يصدر مثل هذا التصريح عن عضو يريد إثبات وجود حركة تركها الجنرال دى جول من خمسة عشر يوماً فقط .

توالى الأزمات فنواب دى جول يمتنعون عن التصويت في ترشيح

بول رينو وبير منديس فرانس لتولى رئاسة الحكومة ولكنهم يؤيدون ترشيح جورج بيدو الذى يرفضه الشيوعيون . بعد أزمة وزارية دامت ٣٦ يوماً انضم نواب دى جول إلى أحزاب الوسط فى تأييد « جوزيف لانبييل » . كانت فى الواقع أزمة مفتعلة إذ انتقلت رئاسة الوزراء من راديكالى معتدل إلى معتدل راديكالى والفرق الوحيد هو أن نواب دى جول عرفوا طريقهم إلى الوزارة فأصبح بعضهم وزراء ولكن الحزب انقسم على نفسه بين المتشبهين بعدم الاشتراك وعلى رأسهم ميشيل دبريه وبين أصحاب سياسة الاشتراك وعلى رأسهم جاك شابان دلماس .

أنزواء الجنرال دى جول ببلدة « كولومبي - لوديز - إجليز :

انزوى الجنرال دى جول ببلدة قريبة من باريس وأقام فى فيلا صغيرة يمتلكها فى تلك البلدة واسمها « كولومبي - لوديز - إجليز » .

إن كان دى جول غير راض عن نفسه الآن فى حاضره فهو على كل حال راض عن ماضيه ، لذلك فقد عكف على كتابة مذكراته عن « ذكريات الحرب » التى يعتبرها وصيته السياسية . أبدى فى تلك المذكرات رأيه فى سياسى الجمهورية الثالثة التى اندثرت بالاحتلال الألمانى لفرنسا سنة ١٩٤٠ وانتقاله إلى لندن ثم تكوينه حركة فرنسا الحرة ، ثم كفاحه من أجل المحافظة على استقلال فرنسا وسلامة مستقبلها وامبراطوريتها وكأنه فى تلك الذكريات ينحت تمثالاً لنفسه فى مسيرة التاريخ .

الحرب فى الهند الصينية :

الهند الصينية الفرنسية تعيش الآن أشهرها الأخيرة . منذ ٢٦ أبريل سنة ١٩٥٤ يجتمع فى جنيف ممثلو الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى والصين وبريطانيا وفرنسا لحل مشاكل كوريا والهند الصينية الفرنسية . قبل جوزيف لانبييل رئيس حكومة فرنسا تدويل مشكلة الهند الصينية الفرنسية وتسوية النزاع دولياً . كان الديجوليون بالمجلس يعارضون سياسة التدويل ويترقبون ، وفجأة فى ٧ مايو سنة ١٩٥٤ أعلن بأن الحماية

الفرنسية في حصن ديان بيان فو قد استسلمت أمام هجمات « الفقيت مين » وانتشر نبال الهزيمة ببواريس في اليوم التالي ووضعت تلك الهزيمة الوفد الفرنسي في مؤتمر جنيف سالف الذكر في وضع سيء .

في ٩ مايو سنة ١٩٥٤ توجه الجنرال دي جول بمفرده إلى قبر الجندي المجهول ببواريس ووقف تحت قوس النصر بميدان « ليتوال » وكأنه وقف ليتقبل العزاء . تحول تصرف دي جول إلى مظاهرة وطنية قام بها فريق من المحاربين القدامى ينغون مصير رفاقهم في السلاح وينددون بعجز الحكومة عن تدعيم القوات المحاربة في الهند الصينية .

كان « جوزيف لانييل » رئيس الحكومة ضحية هزيمة ديان بيان فو ، وفرصة لظهور بطل جديد هو « بيير منديس فرانس » إذ سقط الأول في ١٢ يونيو سنة ١٩٥٤ وتولى الثاني رئاسة الحكومة في ١٨ منه ومنحه المجلس ثقة بأغلبية كبيرة . ورغمما عن اشتراك بعض أنصار دي جول المقربين منه في وزارة منديس فرانس هذه فقد هاجمها دي جول في ٢٢ يونيو وأعلن عدم رضائه عن النظام بأكمله .

الثورة الجزائرية :

في أول نوفمبر سنة ١٩٥٤ انطلقت عدة طلقات نارية من عدة جهات في مدينة الجزائر . كان عدد الثوار محدوداً ولكن مجلس الوزراء الفرنسي شعر بأن هذه هي بادرة ثورة مسلحة وأنها قد تؤدي إلى هزة قوية في نظام الاستعمار بأكمله إذ كانت المظاهرات والاعتيالات وأعمال رجال العصابات مستمرة في تونس والمغرب منذ سنة ١٩٥٢ .

كانت حكومة بيير منديس فرانس قد تمكنت بشجاعة من حل مشكلة تونس وكان يمكنها أن تواجه مشكلة الجزائر بنفس الروح ولكن تألب عليها المحافظون واليساريون معاً ، فالأول لا يعترفون لها حل مشكلة تونس على النحو التحرري الذي تم ويتحفزون لإسقاطها ، واليساريون قلقون من ازدياد مركز ونفوذ رئيس الحكومة ويخشون من سيطرته على عواطف اليساريين بسياسته الجديدة . أما الديجوليون فقد جلسوا في مقاعد المترقبين .

في ٦ فبراير سنة ١٩٥٥ فشل منديس فرانس في الحصول على الثقة بالمجلس عندما نادى الجمهوريون والاشتراكيون بأن السياسة الوحيدة الواجب اتباعها في الجزائر هي إعلان الحرب على الثورة وشاركتهم في ذلك كافة الأحزاب الاشتراكية وأيدهم جميع النواب الذين كانوا يرون بأنه لا بد أن تبقى الجزائر قطعة من فرنسا .

قبل أن يترك منديس فرانس رئاسة الحكومة عين ديجولياً يرضى عنه اليسار حاكماً على الجزائر وهو « جاك سوستيل » الذي كان في شبابه عضواً بالجبهة الشعبية (كان جاك سوستيل سكرتيراً عاماً لحزب تجمع الشعب الفرنسي الذي أنشأه دي جول في أبريل سنة ١٩٤٧ حتى سنة ١٩٥١) . وكان سوستيل يؤكد للحكومة الفرنسية قبل أن يتولى منصبه في الجزائر ثقته التامة في إخماد الثورة في الجزائر بالقوة ، ولكن كان هناك أمام الثوار الجزائريين حدثان أولهما أن الحبيب بورقيبة قد تولى السلطة في تونس في أول يونيه سنة ١٩٥٥ وأنه في ١٦ نوفمبر من نفس العام استعاد السلطان محمد الخامس عرشه في المغرب ، ولذلك فقد صمموا على أن يأتي دورهم في الاستقلال .

منذ ٣٠ يونيه سنة ١٩٥٥ وهو تاريخ آخر مؤتمر صحفي عقده دي جول التزم الصمت .

في ٣١ يناير سنة ١٩٥٦ رشح « جى موليه » سكرتير عام حزب S.F.I.O رئيساً للحكومة (حزب القسم الفرنسي لحركة العمل الدولية الذي يطلق على نفسه الحزب الاشتراكي كما سبق ذكره) ، وجى موليه هذا هو الذي تأمر مع إسرائيل وبريطانيا على غزو مصر من بور سعيد ومنطقة قناة السويس في أكتوبر - نوفمبر سنة ١٩٥٦) .

في ٦ فبراير سنة ١٩٥٦ حاول جى موليه أن يفعل في الجزائر ما سبق أن فعله بيير منديس فرانس في تونس منذ عامين وانتظر أن يتلقى نتيجة لمقتراحه من الثوار الجزائريين ولكنه تلقى رصاصة فقرر أن يزج بفرنسا في محاربة الجزائريين وبعث إلى الجزائر بقوات ضخمة من الجنود والعتاد

وكانت الأغلبية العظمى من النواب ، وفي مقدمتهم الشيوعيون ، يؤيدون جى موليه فى سياسته نحو الجزائر تأييداً تاماً .

فى ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٥٦ وبينما كان خمسة من زعماء الثورة الجزائرية فى طريقهم بالطائرة من الدار البيضاء فى المغرب إلى تونس ، وبسبب خيانة قائد الطائرة الذى كان على اتفاق مسبق مع السلطات الفرنسية ، هبطت الطائرة فى مطار الجزائر . خرج الزعماء الخمسة من الطائرة وهم لا يدركون بأنهم فى مطار الجزائر ليجدوا أنفسهم أمام خمسمائة جندى شاهرى المدافع الرشاشة ، كان الزعماء الذين قبض عليهم هم : أحمد بن بيلا ، محمد خيضر ، مصطفى الأشرف ، محمد بوضياف ، حسين آيات أحمد . (بعد ثمان سنوات من إعلان استقلال الجزائر دخل الأول السجن واغتيل الثانى فى أسبانيا وانضم الثلاثة الآخرون إلى المعارضة) .

صفق الشعب الفرنسى لجى موليه على فعلته هذه واعتبرها عملية استاذية ما عدا وزير اشتراكى اسمه « آلان سافارى » احتج عليها واستقال من الحكومة من أجلها واعتبرها عملية قرصنة جوية .

استمرت الثورة الجزائرية ، وعلى عكس ما كان يعتقد جى موليه ، انقلبت إلى حرب تحرير بكل أبعادها وكانت سبباً فى انقسام الشعب الفرنسى وتوالى تشكيل الوزارات على مدى سنتين . سقط جى موليه وجاء من بعده مورييس بورج مونورى ثم فيليكس جايار .

كان دى جول منزوياً عن المسرح السياسى وبعيداً عن السلطة ولكنه مع ذلك ظل بالنسبة للشعب الفرنسى رمزاً وأملاً . فى الأحداث الأخيرة الخطيرة التى تتوالى على فرنسا عاد دى جول إلى تفكير الشعب الفرنسى وأصبح من جديد قوة سياسية . لقد امتنع حتى الآن عن الحديث إلى الجماهير ولكنه كان يستقبل السياسيين الذين يستمعون إلى آرائه وينقلونها إلى مؤيديهم .

فى شهر يناير سنة ١٩٥٧ زار الجنرال دى جول الجزائر فاستقبله الوزير الفرنسى المقيم المسيو روبير لاکوست والقائد العسكرى الجنرال

سالان ولم يكن يعلم هؤلاء الثلاثة بأن القدر يحبأ لهم في السنوات القليلة المقبلة مواجهة عنيفة ومريرة من أجل مصير الجزائر . بدأت الصحف الفرنسية تتحدث عن شارل دي جول وتقرّح دعوته لتولى السلطة .

في أواخر سنة ١٩٥٧ بدا وكأن عودة الجنرال إلى تولى السلطة أمراً محتملاً بل وفي بعض الأحيان أمراً لا بد منه . عاد أعوان دي جول يكثرون من اتصالاتهم به وكسب مختلف الاتجاهات إليه ، وكان كل نشاطهم مركزاً على ضرورة عودة الجنرال إلى الحكم لمواجهة متاعب فرنسا بروح الوحدة . وعندما اشتدت الزواجع السياسية سنة ١٩٥٨ وتبين بأن النظام القائم يحتضر لجأ السياسيون إلى دي جول فلم يضع إلا شرطاً واحداً لعودته إلى العمل السياسي وهو تعديل الدستور .

في أول يونيه سنة ١٩٥٨ عاد الجنرال دي جول رئيساً للحكومة وحصل على تفويض كامل لتعديل الدستور وتوجه الجنرال إلى البرلمان ووسط زوبعة من جانب الشيوعيين للاعتراض على التفويض قال دي جول « ما أفعله هو من أجل الجمهورية أن تستمر » وحصل على تأييد ٣٥٠ بمنح التفويض ورفضه ١٦١ وامتنع سبعون نائباً عن الاشتراك في التصويت وتقرر أن يعرض مشروع التعديل على الشعب في استفتاء عام .

لم يهتم الشيوعيون بالتعديلات المقترحة بقدر ما ركزوا اهتمامهم على دعوة الشعب إلى رفضه . شارك في حملة الرفض بعض كبار السياسيين اليساريين وفي مقدمتهم بيير منديس فرانس وفرانسوا ميتران رئيس فرنسا الحالي .

في ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٥٨ أجرى الاستفتاء على مشروع الدستور الجديد وحصل دي جول على موافقة الشعب الفرنسي عليه بأغلبية عظمى ، وبذلك حصل دي جول على كافة السلطات الدستورية ، وأصبح هذا الدستور الجديد هو دستور الجمهورية الخامسة .

في ٢٣ و ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٥٨ أجريت الانتخابات التشريعية بمقتضى

قانون الانتخاب الجديد وكان دى جول قد أقام اتحاداً لمؤيديه أسماه « اتحاد الجمهورية الجديدة » Union de la Nouvelle République : ففاز مرشحوه بـ ١٨٩ مقعداً فى المجلس الجديد وخسر الشيوعيون عدداً كبيراً من مؤيديهم . فشل فى تلك الانتخابات عدد ملحوظ من السياسيين التقليديين ، كما لم ينتخب فرانسوا ميتران نفسه وأصبح نصف أعضاء المجلس الجديد مكوناً من وجوه جديدة .

اجتمع المجلس الجديد فى ٩ ديسمبر سنة ١٩٥٨ وانتخب جاك شابان دلماس رئيساً له . فى ٢١ ديسمبر سنة ١٩٥٨ انتخب دى جول رئيساً للجمهورية الخامسة لمدة سبع سنوات طبقاً لنص الدستور الجديد .

أهم ما جاء بالدستور الجديد من مبادئ هو أن الاستفتاء العام للشعب هو مصدر السلطة للسلطين التشريعية والتنفيذية ، فصل السلطة التشريعية عن السلطة التنفيذية فصلاً تاماً وذلك بأن يتولى كل منهما اختصاصاته ويتحمل مسئولياته . أن تكون الحكومة هى المسئولة أمام البرلمان .

فى ٨ يناير سنة ١٩٥٩ تسلم الجنرال دى جول مهام رئاسة الجمهورية من الرئيس الذى انتهت مدة رياسته وهو المسيو « رينيه كوتى » ، وعهد إلى « ميشيل دبريه » بتشكيل أول وزارة فى عهد رياسته الحالية (كان جيسكار ديستان رئيس جمهورية فرنسا السابق وزيراً فى تلك الوزارة) :
دى جول والثورة الجزائرية :

كان لكل فرنسى رأي فى مشكلة الجزائر إلا واحداً وهو الجنرال دى جول ، كان يزوره مئات السياسيين يسألونه رأيهم فى طريقة حل مشكلة الجزائر فكان يمتنع عن الإدلاء برأى عن حل ما ، كان يفهم القلق الذى يسيطر على أنصار الجزائر فرنسية وكان يحترم أولئك الذين يحاربون من أجل استقلال بلادهم ، فقد كان هو أيضاً يوماً ما واحداً منهم ، كان تفهم أيضاً آراء التحرريين من مثقفى اليسار وأمكن كل هذا كان يبدو لدى جول أمراً ثانوياً إذ كان يرى بأنه يجب إعادة بناء الدولة أولاً وذلك بإقامة المؤسسات التى يراها ثم إقامة التوافق بين الدولة والجيش بالإقناع أولاً

ثم بإصدار الأوامر بعد ذلك . عندما تقف الدولة على أرجلها وعندما يمتنع الجيش عن رفض إطاعة أوامر الدولة عندئذ تكون نصف مشكلة الجزائر قد حلت . كانت زيارة دى جول للجزائر بعد ثلاثة أيام من توليه السلطة (يوم أول يونيه سنة ١٩٥٨) دليلا على القلق الذى كان يسيطر على تفكيره بشأنها . استقبل دى جول بالجزائر يوم ٤ يونيه سنة ١٩٥٨ استقبالا حافلا ، فأول مرة امتنع المستوطنون الفرنسيون والجنود الفرنسيون والثوار الجزائريون عن القتال خلال الزيارة واتجهوا بأنظارهم نحو الشخصية الأسطورية ليستمعوا إليه وهو يقول من شرفة مقر الحكومة يوم وصوله « لقد فهمت ما تريدون » . كانت هذه الجملة قمة الصدق والحقيقة ، كان على دى جول الآن أن يعالج مشاكل قرن من الزمان تشعب بالظلم والتفرقة . قال لهم دى جول « منذ اليوم لن يكون بالجزائر سوى طبقة واحدة من السكان ، لا تفرقة بين عرب وقبائل ومستوطنين ، سيكون الجميع أبناء فرنسا لهم حقوق متساوية » . لكن دى جول لم يكن يقدر عمق الهوة التى نشأت بين الجزائريين أصحاب البلاد الأصليين وبين المستوطنين الفرنسيين وبين القوة الثورية الدافعة للفريق الأول والتعصب الأعمى للفريق الثانى .

لم ينته الأمر إلى شئ وحافظ كل فريق على موقفه ، والجيش الفرنسى الذى ذاق مرارة الهزيمة فى الهند الصينية يتوق إلى استعادة ثقة الشعب به بالحصول على نصر رخيص ضد الجزائريين فعادت الحرب الدموية بين الجيش الفرنسى فى الجزائر والثوار الجزائريين .

لم ينتظر دى جول طويلا فهو يعلم بأن جيشه قد مزقته سحب العقائد الداكنة . كان دستور سنة ١٩٥٨ للجمهورية الخامسة قد أقر قيام رابطة تقبلتها المستعمرات الفرنسية فى أفريقيا بالإجماع تقريبا فدار فى ذهن دى جول أن تنضم الجزائر إلى تلك الكتلة الضخمة من الشعوب .

رأى دى جول بأن الحرب فى الجزائر قد استمرت أكثر مما يجب وأنها قد أنهكت نفسية الشعب الفرنسى بأكمله لاسيما وقد فهم خلال خبرته

في أفريقيا السوداء استحالة إقامة نظام وسط بين الاستقلال والاستعمار وأن انتصاراً عسكرياً للجيش الفرنسي في الجزائر لن يغير من الموقف شيئاً ولن يحل المشكلة وأن فكرة الجزائر الحرة لا يمكن القضاء عليها .
كثر عدد الرسل بين باريس وتونس .

في ٢٣ أكتوبر سنة ١٩٥٨ ومن فوق رؤوس أنصار الجزائر فرنسية اقترح دي جول على جبهة التحرير الجزائرية « سلام الشجعان » . تردد زعماء الجبهة وأركان حربها في تونس ولكنهم شعروا بأن الجنرال دي جول يختلف عن السياسيين الفرنسيين الذين عرفوهم وتأثروا بمكانته وأصبحوا أكثر ميلاً للثقة به ولكنهم في الوقت نفسه كانوا يقيسون الثقل السياسي لأصحاب الرأي بأن تظل الجزائر فرنسية وتصميم العسكريين وبين مقدرة دي جول على تنفيذ كلمته وهل لديه إمكانيات المحافظة عليها في الوقت الذي لا يشكون في إخلاصه . في نهاية الأمر فضلوا السكوت والانتظار .

ظل الجنرال دي جول متردداً لمدة عام ولكن الحرب تستعر وتمتد . كان الجيش الفرنسي يحقق في الظاهر بعض المكاسب ولكن الموقف يتدهور على الصعيد الدولي بعد أن أصبح الجزائريون أبطالاً أسطوريين تصفق لهم الأمم المتحدة . تأكد دي جول بأنه طالما بقيت حرب الجزائر فسيبقى حلم دي جول الكبير بتخطيط سياسة خارجية جديدة لفرنسا سراياً ، وقرر أنه لا بد من إنهاء تلك الحرب .

في ١٦ سبتمبر سنة ١٩٥٩ كان دي جول قد توصل إلى حل فليجاً إلى إذاعات الراديو والتلفزيون ليقول للفرنسيين « لا تزال أمام فرنسا مشكلة دموية صعبة هي مشكلة الجزائر ويجب علينا أن نجد حلاً لها ، وسنجد هذا الحل ، حل الدولة العظيمة وبالطريق الوحيد السليم ، أريد أن أقول بالاختيار الحر الذي سيمارسه الجزائريون لتقرير مستقبلهم » .

قرر دي جول أن يستفتي الجزائريون لا عن طريق مندوبيهم في

المجلس الوطنى الفرنسى ولا عن طريق زعماء الثورة بل يستفتون فرداً فرداً وسيقدم لهم الاختيار ما بين الانفصال أو الاندماج الكلى مع فرنسا وإما إقامة حكومة جزائرية بواسطة جزائريين تستند إلى معونة فرنسا باتحاد متين معها . كان دى جول يأمل أن يصوت الجزائريون لهذا الاقتراح الأخير . ولم يبق إلا تحديد تاريخ إجراء هذا الاستفتاء ورد الفعل لدى زعماء الثورة .

تأكد زعماء الثورة الجزائرية بأن السلطة الحقيقية للدولة قد أصبحت بيد الجنرال دى جول لا بيد المستوطنين الفرنسيين فلم ينضم الجيش الفرنسى فى الجزائر إلى حركات التمرد من رجال الحكومة الفرنسية فى الجزائر وأن لدى جول آراءه الخاصة وأنه ينوى تنفيذها .

كان دى جول يعلم بأن لا سبيل إلا أن تستقل الجزائر ولكنه كان مصمماً على أن لا يكون الثوار هم الوارثون لهذا التطور بل رغب فى أن يقوم من بين الجزائريين زعماء جدد قادرون على تسلم مصير البلاد ومقاليد الحكم تدريجياً .

ساد الغضب الفرنسيين والأوربيين فى الجزائر وأصبحوا لا يخفون عداءهم لسياسة دى جول بعد تحفظ منهم دام عاماً بأكمله . تأكدوا جميعاً الآن بأن الجزائر جزائرية معناه أن الباب أصبح مفتوحاً أمام الجزائريين للحصول على استقلالهم وأن أحلامهم بأن تبقى الجزائر فرنسية قد انتهت .

فى ١٩ سبتمبر سنة ١٩٥٩ ، أى بعد ثلاثة أيام من إذاعة الجنرال دى جول لسياسته الجديدة أجاب عليها جورج بيدو بأن أعلن عن تكوين هيئة سماها « تجمع من أجل العمل على أن تظل الجزائر فرنسية » .

كان الجيش الفرنسى فى الجزائر مكوناً من أربعمئة ألف رجل مزودين بأحدث الأسلحة والمعدات ومنهم الضباط والجنود الذين تدرّبوا على حرب العصابات فى الهند الصينية ولكن هزيمة ديان بيان فو كانت لا تزال تقلق خواطرهم .

في ١٠ نوفمبر سنة ١٩٥٩ عقد الجنرال دى جول مؤتمراً صحفياً أثار فيه المشاعر مرة أخرى إذ أيد ما سبق أن أعلنه في ١٦ سبتمبر من تصميمه على سياسته الجديدة . رماه بعض السياسيين الفرنسيين بالخيانة وأذاع جورج بيدو بياناً أعلن فيه رفضه لكل ما جاء بالمؤتمر الصحفي بشأن الجزائر الفرنسية .

أصبح الموقف السياسى فى فرنسا الآن أشبه ما يكون بأعلان حرب سياسية . قرر الجنرال دى جول استدعاء الجنرال « جاك ماسو » قائد الجيش الفرنسى فى الجزائر إلى باريس بعد أن صرح لصحيفة ألمانية غربية عن شكوكه فى أن ينفذ الجيش الفرنسى فى الجزائر أوامر الجنرال دى جول بشأن الاستفتاء . فى ٢٤ يناير سنة ١٩٦٠ غادر الجنرال ماسو الجزائر فقامت مظاهرات صاخبة فى الجزائر تنادى برفض سياسة ترك الجزائر ويهتف بعضها « دى جول إلى المشنقة » وأشتد تبادل إطلاق النار الذى أسفر عن قتل ثمانية وجرح ٢٤ من بين المتظاهرين كما قتل أربعة عشر وجرح ١٢٣ من بين صفوف قوات حفظ النظام وبدأت المواجهة بين الجنرال دى جول وفرنسي الجزائر لأول مرة ، ولكنها لم تكن الأخيرة .

فى ١٤ يونيه سنة ١٩٦٠ أعلن الجنرال دى جول على شاشة التلفزيون « مرة أخرى أتوجه بأسم فرنسا إلى مدبرى الانتفاضة . أننى أعلمهم بأننا ننظرهم هنا لكي نعثر معهم على نهاية مشرفة للقتال الذى لا يزال مستمراً ونقرر مصير الأسلحة ونأمن مصير المحاربين ، بعد ذلك سنعمل كل ما يؤدى إلى أن يتحول الشعب الجزائرى كلمته فى هدوء وأن القرار لن يكون إلا قراره » . ثم أعرب الجنرال عن أمله فى أن تصبح الجزائر بلداً مزدهراً بالتعاون مع فرنسا والرابطة الفرنسية .

فى تونس تلقت حكومة الجزائر المؤقتة العرض بجدية وقررت اختبار نوايا دى جول . فى باريس انتظروا وصول فرحات عباس رئيس الحكومة المؤقتة ولكن وصل فى ٢٥ يونيه إلى بلدة « ميلون » مندوبان هما أحمد بو منجل وبن يحيى وهما شخصيتان لها مكانتهما فى الثورة . كان الأول على علاقات صداقة مع شخصيات فرنسية كثيرة فى باريس وكان الثانى شاباً يمثل

الاتجاه السياسى الحقيقى لجهة التحرير الجزائرية . كان الهدف من إرسال الاثنين وضع الترتيبات لاجتماع على مستوى أكبر ولكنهما عادا إلى تونس فى ٢٩ يونيه دون أن يحققا شيئاً إذ تبين لهما بأن عرض الجنرال دى جول لم يكن واضحاً بما فيه الكفاية وقد أراد به أن يقيس مدى تصميم الجزائريين ، كان يريد أن يعرف عما إذا كان يمكنه إنهاء الحرب قبل أن يمس المشكلة السياسية ، أى أنه أراد أن يستبدل جهة التحرير أو أن يقسمها على نفسها بانشاء قوة جديدة معتدلة . كان يتمهل فى الوصول إلى اتفاق فى الوقت الحاضر ظناً منه بأن الثورة الجزائرية قد دخلت فى مأزق عسكرى حرج مما سيؤدى بزعماء الثوار إلى خفض رؤوسهم .

الجنرال دى جول فى الجزائر :

وصل دى جول إلى مدينة الجزائر فى ١٠ ديسمبر سنة ١٩٦٠ ليقابل جماهير الفرنسيين الغاضبين دون خوف أن يقذف بالطماطم أو بالرصاص . قام الفرنسيون والأوربيون بالتظاهر ضده . أخذ دى جول يحترق جماهير المتظاهرين بكل شجاعة وهم يصيحون « الجزائر فرنسية » واستمر فى جولته لمدة ثلاثة أيام أسفرت عن خمسة قتلى بين الأوربيين وتأكد بعد رحلته هذه بأنه لا مجال للتفاهم بينه وبين هؤلاء المستوطنين وفى ١٢ ديسمبر حدث تحول خطير ، خرجت جموع الجزائريين إلى الشوارع تهتف بحياة دى جول وبحياة عباس فرحات فى السلطة ، كانوا إذن يهتفون فى وقت واحد للجنرال دى جول وللثورة ، وفى اليوم التالى ظهرت أعلام جهة التحرير الجزائرية الخضراء فى كل مكان وأنتقلت المظاهرات التى قامت للجنرال دى جول إلى مظاهرات لجهة التحرير الجزائرية . تدخلت قوات الأمن الفرنسية وأسفر هذا التدخل فى يومى ١٢ و ١٣ ديسمبر عن خمسة وسبعين قتيلاً .

فى ٨ يناير سنة ١٩٦١ أجرى استفتاء للشعب الفرنسى على مشروع دى جول بشأن مستقبل الجزائر فجاءت النتيجة أنتصاراً ساحقاً للجنرال . قبل المشروع خمسة عشر مليوناً ورفضه خمسة ملايين هم الشيوعيون وأنصار الجزائر فرنسية .

في الجزائر أنتصر دى جول أيضاً ، قبل المشروع مليون و ٩٠٠ ألف ورفضه ٨٠٠ ألف وكان عدد الذين أمتنعوا عن الإدلاء بأصواتهم مليونين . كان تحليل النتائج واضحاً وهو أن المستوطنين قد رفضوا المشروع وانقسم الجزائريون إلى فريقين متساويين الفريق الأول الذين لم يدلوا بأصواتهم وهم أعوان جبهة التحرير الجزائرية والفريق الثاني وهم الذين كان يأمل دى جول في أن يكونوا جبهة جديدة كان يسميها « القوة الثالثة » .

في ١٦ يناير سنة ١٩٦١ خرجت حكومة الجزائر المؤقتة عن صحتها بعد أن أذيعت نتائج الاستفتاء رسمياً وأعلنت أستعدادها للتفاوض مع الحكومة الفرنسية حول شروط إجراء أستفتاء حر للشعب الجزائري . كثرت الاتصالات السرية بين تونس وباريس . وفي ٣٠ مارس سنة ١٩٦١ أعلن كل من الجانبين الفرنسي والجزائري في آن واحد أفتتاح مؤتمر « إيفيان » يوم ٧ أبريل سنة ١٩٦١ . أشتد غضب الأوروبيين في الجزائر ووصل العنف إلى مداه وأمتد إلى أرض فرنسا نفسها إذ أغتيل عمدة مدينة « إيفيان » (كاميل بلان) . لم يحاول الجنرال دى جول أن يتراجع فعقد مؤتمراً صحفياً يوم ١١ أبريل قال فيه « أن فرنسا تأخذ في حسابها اليوم ، وبكل هدوء ، حلا يهدف إلى أن تخرج الجزائر من نطاق سيطرتها ، كان هذا الحل يبدو في الماضي وكأنه كارثة ولكننا نأخذ اليوم في حسابنا بقلب هادئ مطمئن » . قال أنصار الجزائر الفرنسية بأن سبع سنوات من حرب مريعة قد تحطمت على هذه الجملة التي أثارت اهتماماً في جميع أنحاء العالم .

اعتبر المستوطنون الفرنسيون في الجزائر بأن وقت الشدة قد بدأ بالنسبة لهم ، واعتبر قواد الجيش الفرنسي في الجزائر بأن هذا البلاغ المشترك هو إعلان عن هزيمتهم وأنهم لا يقبلونه ، وفي صباح يوم ٢٢ أبريل أعلن الجنرال « شال » بأنه قد تسلم القيادة والسلطة على جميع أراضي الجزائر ، لكن العقلاء من المستوطنين قد اعتبروا بأن معركتهم خاسرة ، ولذلك فقد أستعدوا للرحيل .

السؤال الذى كان يتردد فى الأذهان « ماذا سيفعل الجيش الفرنسى الموجود الآن على أرض فرنسا ». تبين سريعاً بأن هذا الجيش لن يشترك فى النزاع إلا إذا حضر جنرالات الجزائر إلى أرض فرنسا .

عاد الجنرال دى جول مرة أخرى وبدون تردد يتحدث إلى الفرنسيين فى فرنسا والجزائر ويعيد تحديد سياسته ويندد بتصرفات جنرالات الجزائر الذين أحالهم إلى المعاش ويطلب إلى الضباط والجنود أن لا يطيعوا أوامره . بعد تلك الخطبة واجه الجنرال « شال » فى الجزائر مقاومة من جنوده وتردد ضباطه فى إطاعة أوامره وهم الضباط الذين كانوا يرون ضرورة إطاعة أوامر القائد الأعلى (دى جول) ، وشعر بقية الجنرالات بأن الدائرة ستدور فوق رؤوسهم .

فى مساء يوم الأحد التالى ليوم خطاب دى جول فى ١١ أبريل سرت إشاعة فى جميع أنحاء باريس بأن جنرالات الجزائر يعتزمون — أثناء الليل — انزال جنود مظلات على باريس لاحتلالها . ظهر رئيس الوزراء ميشيل دبريه فجأة على شاشة التلفزيون فى الساعة الحادية عشرة مساءً يطلب إلى الفرنسيين أن يتوجهوا إلى المطارات ليحموها بصدورهم من جنود المظلات القادمين من الجزائر . فى الوقت نفسه امتلأت ميادين وشوارع باريس بالمدرعات وسيارات الجيش المحملة بالجنود وتطوع الكثيرون لحمل السلاح وصد الغزاه القادمين من الجو . فى الصباح لم يكن هناك شىء قد حدث . أسر دى جول بعد ذلك لأحد وزرائه بأنه لم يكن يتردد إذا لزم الأمر بأن يأمر باطلاق مدافع الأسطول على الجزائر . فى الجزائر مريوم الاثنين بأكمله فى ارتباك تام وظل الجنرالات المترددون يلقون الخطب بعصبية وبدون أن يقرروا شيئاً .

فى صباح الثلاثاء قرر الجنرال « شال » أن يسلم نفسه فاتخذ طريقه إلى باريس بعد الظهر وما أن وصل إليها حتى أودع السجن فى مساء نفس اليوم ، كما أستسلم الجنرال « زيلر » واختفى « سالان » بين جماهير الشعب . أصبح هدف أنصار الجزائر فرنسية من المستوطنين الأوربيين الآن هو الانتقام لفشل حركتهم . تمز شتاء ١٩٦١ — ١٩٦٢ بالعنف . كانت تحدث اغتيالات كل يوم ليس فقط بالجزائر بل على أرض فرنسا نفسها ولكن

عهد الجزائر المستقلة قد بدأ . كانت قد تكونت في سنة ١٩٦١ جماعة أرهابية أطلقت على نفسها اسم « المنظمة المسلحة السرية » وكان يرمز إليها بأحرف O.A.S. Organisation Armée Secrete وهدفها مقاومة أستقلال الجزائر بكافة وسائل العنف (استمرت من ١٩٦١ إلى ١٩٦٣) وبدأت تلك المنظمة الأرهابية تفجر قنابل البلاستيك في شوارع باريس وتحاول أغتيال الجنرال دى جول بصفة خاصة ، كما قامت بعدة محاولات بالقنابل وأطلاق الرصاص على بعض الصحفيين وأساتذة الجامعات . أحدثت إحدى قنابل المنظمة أنفجاراً كبيراً حول سور الفيلا التي يسكنها أندريه مالرو نتج عنه أصابة طفله في عينيها . استشاط الرأي العام في باريس غضباً لأنه لا يفهم ما هو المقصود بهذا التيار الأرهابي . كثرت مظاهرات الأحزاب اليسارية وأصبحت الاشتباكات مع رجال الأمن أحداث كل يوم . في ٨ فبراير سنة ١٩٦٢ اشتبك المتظاهرون اليساريون مع رجال الأمن في معركة عند محطة مترو « شارون » وكان اشتباكاً عنيفاً لا هدف منه أسفر عن قتل ثمانية وجرح حوالى المائة شخص من المتظاهرين ونقل عشرة من رجال الأمن إلى المستشفيات . كانت جنازة هؤلاء الثمانية القتلى من أكبر المظاهرات التي حدثت في تاريخ فرنسا إذ أستجاب ما يقرب من نصف مليون شخص لنداء النقابات ليتموا أمام نعوش الضحايا وأطلقوا عليهم « شهداء شارون » .

كان على الحكومة أن تواجه هجمات المنظمة المسلحة السرية فبدأت معها معركة ضارية ، وفي الجزائر القت قوات الأمن القبض على المئات وأستمر الجيش يحارب في جبهتين ، جبهة الجزائريين من ناحية ، وجبهة المستوطنين من ناحية أخرى وهم الذين أصبحو يطلقون النار على كل من يرتدى ملابس عسكرية فرنسية .

المفاوضات مع الجزائريين :

في ١١ فبراير سنة ١٩٦٢ بدأت المفاوضات في بلدة « دى روس » وأحيطت بكتمان شديد . كان يمثل الجانب الفرنسى ثلاثة وزراء (جوكس -

بورون - دى برولى) ومن الجانب الجزائرى (كريم بلقاسم - سعد دحلب -
لاخضر بن طوبال ومحمد يزيد) . أستمرت المفاوضات ثمانية أيام وكانت
دقيقة فيما يخص الضمانات التى تعطى للاوربيين وبتشكيل السلطة التنفيذية
المؤقتة التى كان عليها أن تعد لإجراء استفتاء تقرير المصير . فى هذه الأثناء
كان السيد « بن خده » قد تولى رئاسة حكومة الجزائر المؤقتة بدلا من
فرحات عباس وعرض على المجلس الوطنى للثورة الجزائرية المنعقد فى
طرابلس نتائج المفاوضات الأولى مع الفرنسيين .

أصبح مقررآ الآن الأفراج عن أحمد بن بيلا وزملائه الأربعة الذين
قبض عليهم فى ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٥٦ ولكن المظاهرات كانت مستمرة
فى باريس والجزائر على السواء .

كانت الغالبية العظمى للرأى العام الفرنسى - مع التجائه إلى دى جول
لإخراجه من الورطة الجزائرية (قدرت بثمانين فى المائة) لا ترى ما يراه
دى جول . كانت هناك أقلية ترى بأن الاستقلال هو الحل الوحيد لإعادة
السلام إلى الجزائر كما كانت هناك أقلية أيضاً ترى بأن الجزائر هى فرنسا
وكانت الأغلبية العظمى لا تستقر على رأى فهمى ترى بأن الجزائر فرنسية
ولكنها لا تدرى كيف تستمر فرنسية ولا ترى مانعاً من المفاوضات .
كان كلما قرب موعد السلام كلما ثبتت أيضاً خطوات أنصار أستقلال
الجزائر وأصبح الرأى العام الفرنسى فى مجموعة مستعداً لقبول مبدأ أستقلال
الجزائر والقضاء على المنظمة السرية المسلحة .

معركة الجزائر الثانية فى مارس سنة ١٩٦٢ . الأحداث تتوالى بسرعة
والكل مجمع على أن شهر مارس سوف يكون شهر الحسم والجنرال دى جول
يريد الآن أن تصل المفاوضات إلى حل . المنظمة السرية المسلحة تنشر
الأرهاب فى فرنسا والجزائر معا . فى ٢ مارس أغتالت المنظمة ٥٧ شخصاً
فى الجزائر وحدها . فى ٥ مارس فجرت ١٢٠ قنبلة بلاستيك فى المدينة .
وفى ٥ مارس سنة ١٩٦٢ أعلنت كل من باريس وتونس بأن المفاوضات
الرسمية ستبدأ يوم ٧ مارس فى مدينة « ايفيان » .

فى يوم الأحد ١٨ مارس سنة ١٩٦٢ ظهر الجنرال شارل دى جول على شاشة التلفزيون الفرنسى ليعلن على الشعب الفرنسى بأنه قد أئفق على وقف إطلاق النار وانه أبتداء من اليوم التالى ستنهى المعارك على كافة أراضى الجزائر . قوبل هذا الإعلان بالارتياح التام فى كافة أنحاء العالم فيما عدا الجزائر . فى ٢٣ مارس أغتالت المنظمة السرية المسلحة ضابطاً فرنسياً وخمسة من الجنود ولأول مرة أجاب الجيش الفرنسى بإطلاق الرصاص وظل إطلاق الرصاص مستمراً من المنازل والشوارع طوال الليل وأسفر فى الصباح عن خمسة عشر قتيلاً وسبعين جريحاً من الجنود وعن عشرين قتيلاً وثمانين جريحاً من المتمردين .

فى ٢٦ مارس عادت الاشتباكات وأسفرت عن قتلى كثيرين فى الجزائر وأدت حوادث الإرهاب التى تقوم بها المنظمة المسلحة السرية إلى وقوف الجيش ورجاله فى تصميم بجانب حكومة الجزائر الشرعية :

فى أول يوليه سنة ١٩٦٢ أجرى الاستفتاء لتقرير مصير الجزائر وأعلنت النتيجة وكانت ٩١,٢٣ ٪ للاستقلال ضد ٨,٢٥ ٪ ، ومعنى هذه النتيجة أستقلال الجزائر .

فى ٥ يوليه سنة ١٩٦٢ أعلن أستقلال الجزائر رسمياً وعلى غير ما كان متوقفاً لم يمس أحد من الأوربيين فى الجزائر بسوء . فى غمرة الفرح والغضب حدث اشتباك فى أوران بين جزائريين وأوربيين لم يعرف من الذى بدأه وأسفر الاشتباك عن خمسة وتسعين قتيلاً ومائة ثلاثة وستين جريحاً ، وأصبحت الجزائر منذ ذلك التاريخ بالنسبة لفرنسا ذكرى فى تاريخها .

كان على مليون من الأوربيين أن يتركوا الجزائر بمحض أرائهم ، نصفهم لم يسبق له أن رأى فرنسا فى حياته .

محاولة اغتيال دى جول :

كان هدف المنظمة السرية المسلحة — كما قلنا — هو محاولة اغتيال دى جول وكانت آخر محاولة لاغتيال دى جول قد تمت على طريق «كولومبى لوديز اجليز» يوم ٨ سبتمبر سنة ١٩٦١ عند الفجر . إذ انفجرت

قنبلة زمنية بعد مرور سيارة الجنرال ببضع ثوان ، وكان الجنرال المتقاعد « سالان » قد أنكر وقتئذ كل علاقة لمنظمته الإرهابية بهذه المحاولة .

في ٢٢ أغسطس سنة ١٩٦٢ وبعد إعلان استقلال الجزائر بسبعة وأربعين يوماً حدثت محاولة أخرى خطيرة لاغتياله إذ بينما كان الجنرال وعقيلته وصهره في السيارة هاجمهم عشرات الإرهابيين في « بيتي كلامار » وأطلقوا عليه خلال عدة ثوان مائة وخمسين طلقة رصاص . نفذت رصاصة واحدة إلى السيارة ومرت على بعد سنتيمترات قليلة من رأس الجنرال ولكنه خرج سالماً هذه المرة أيضاً .

الجنرال دى جول والجهة الداخلية :

في اليوم التالي لإجراء الاستفتاء على استقلال الجزائر أستقال رئيس الحكومة ميشيل دبريه من منصبه وخلفه سياسى لم يكن معروفاً من قبل هو جورج بومبيدو الذى لم يكن زعيماً سياسياً ولا برلمانياً . بل كان وفيّاً للجنرال دى جول طول مدة أبتعاده عن السلطة وكان يعمل في بنك روتشيلد بباريس .

تأكد دى جول بعد قليل بأن التطور الدستورى قد أدى إلى زيادة سلطة البرلمان ضد السلطة التنفيذية فاستعد لأزمة لا مفر منها بينه وبين البرلمان عند عودة البرلمان من عطلة الصيف . ومنذ شهر سبتمبر قرر اختيار ميدان تلك المعركة بينه وبين البرلمان وصمم على تأمين مستقبل نظامه الدستورى بأن يجعل أنتخاب رئيس الجمهورية بالانتخاب العام المباشر . تقبلت الأحزاب خوض المعركة الدستورية على أساس أنها في مصالحهم . كانت وجهة نظر الأحزاب المعارضة هى أن التجاء دى جول إلى تعديل الدستور بواسطة الاستفتاء هو اعتداء على الدستور نفسه ، وكانت وجهة نظر دى جول هى أن الفرنسيين لن يرضوا أن يتولوا هم بأنفسهم أنتخاب رئيس الجمهورية وأنهم يشعرون ولا شك بمقدرتهم على أن يتخذوا مكان البرلمان في عملية كهذه .

في ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٦٢ قرر دى جول بأن الشعب الفرنسى سيقول

كلمته في الاستفتاء ، وبينما كان الراديكاليون يرون بأن أنتخاب رئيس الجمهورية بمعرفة الشعب هو خيانة للدستور فقد رأى الشيوعيون في هذه العملية عملية ديمقراطية تثير اهتمامهم ، فإن كان الأمريكيون ينتخبون رئيسهم فلماذا لا يفعل الفرنسيون نفس الشيء . أتخذت الأحزاب المعارضة من هذا الموضوع ذريعة لتصفية حسابها مع الجنرال دى جول بعد أن أصبحت مشكلة الجزائر أمراً منتهياً .

في ٢ أكتوبر سنة ١٩٦٢ طرح نواب الحركة الجمهورية الشعبية والاشتراكيون الثقة بحكومة جورج بومبيدو ، وفي ٥ أكتوبر صوت المجلس باسقاطها فقرر دى جول حل المجلس .

في ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٦٢ أجرى الاستفتاء على أنتخاب رئيس الجمهورية بواسطة الانتخاب العام المباشر ونال دى جول نصراً كبيراً إذ أيدته ١٣ مليوناً و ١٥٠ ألفاً وعارضه ثمانية ملايين تقريباً . وبذلك نجح دى جول في تدعيم النظام الرئاسى وعدل الدستور فأصبح أنتخاب رئيس الجمهورية بالانتخاب العام المباشر . أستمع العمل بهذا النظام الجديد حتى الانتخابات التشريعية لسنة ١٩٦٧ ، وفي هذا الوقت أتجه تفكير الجنرال إلى البحث من جديد عن فلسفة جديدة . أراد أن يدمج النظام الرئاسى بالنظام البرلمانى وهنا أكتشف بأن رئيس الجمهورية والبرلمان يمكن أن يتحولوا إلى خصمين فهل يذهب إلى إقرار نظام رئاسى على النسق الأمريكى إذا أريد المحافظة على استقلال السلطة التنفيذية التى تشكل في نظر دى جول أساس وجود الدولة وقياسها . لم تكن هذه الفكرة نتيجة رأى قانونى متحزلق ولكنها نتيجة خبرة دى جول نفسه بعد حياة طويلة عانى فيها كثيراً من المناورات البرلمانية وقد أستمع هو كما أستمع كل فرنسى إلى مناقشات لا نهاية لها في أمور تدور حول نفسها ورأى رجالا على مستوى عال من المقدرة الإدارية والكفاية الذهنية يذهبون ولا يتمكنون من خدمة بلادهم في شيء لأن نصف وقتهم ضائع في إقناع آخرين متوسطي الفهم ولا قدرة لهم على التفكير السليم .

في نهاية سنة ١٩٦٣ أعلن عمدة مرسيليا بأنه قد رشح نفسه ضد الجنرال دى جول في أنتخابات الرئاسة التى ستجرى في شهر ديسمبر سنة ١٩٦٥ .

تكتلت بعض الأحزاب لتقديم مرشحين آخرين. تقدم للرشح « فرانسوا ميثيران بتأييد من الاشتراكيين والشيوعيين كما تقدم عضو بمجلس السناتو اسمه « جان ليكانويه ». في آخر لحظة أعلن دي جول ترشيح نفسه

أجريت انتخابات الرئاسة يوم ٥ ديسمبر سنة ١٩٦٥ وتبين بأن الجنرال لم يحصل إلا على ٤٤ ٪ من الأصوات ضد ٣٢ ٪ لفرانسوا ميثيران و ١٦ ٪ لجان ليكانويه » (لم يكن هذا السياسي معروفاً لدى الفرنسيين ولكنه حصل على أربعة ملايين صوت في حملته الانتخابية التي دامت أقل من شهرين) وكان هذا الأخير هو السبب في عدم نجاح الجنرال دي جول في الجولة الأولى لأن أغلبية الأصوات التي حصل عليها كانت من الديجوليين المتدمرين .

في ١٩ ديسمبر سنة ١٩٦٥ أعيد الانتخاب بين دي جول وفرانسوا ميثيران، ففاز دي جول بأثنى عشر مليوناً و ٦٤٥ ألف صوت ضد عشره مليون و ٥٥٧ ألف صوت لفرانسوا ميثيران ، وكانت هذه أول مرة منذ سنة ١٩٥٨ تحصل فيها المعارضة على أكثر من ٤٥ ٪ من أصوات الناخبين . شعر دي جول بأن الخطط الدستورية التي أقامها هو بدأت تتجه ضده ، ومع أن دي جول قد فاز برئاسة الجمهورية في الانتخاب العام المباشر إلا أن معارضة قوية قد بدأت تتكتل ضده .

في أوائل سنة ١٩٦٧ كان على الفرنسيين أن يتوجهوا من جديد إلى صناديق الانتخابات وقد أسمى المعلقون انتخابات هذه المرة بالجولة الثالثة لانتخاب دي جول رئيساً للجمهورية وتثبيته في منصبه وكانت الانتخابات التشريعية الجديدة . جورج بومبيدو رئيس الحكومة يجوب فرنسا يواجه فرانسوا ميثيران ومنديس فرانس ودي جول يلقي بكل ثقله في المعركة الانتخابية .

في ٥ مارس سنة ١٩٦٧ أجريت الانتخابات التشريعية التي أسفرت عن حصول حزب « تجمع الجمهورية الجديدة » المؤيد للجنرال على ٣٧ ٪ من أصوات الناخبين وأصبح أكبر الأحزاب الفرنسية . فاز فرانسوا ميثيران وكثير من مؤيديه بينما سقط بعض وزراء دي جول وهم مورييس كوف

دى مورفيل وزير الخارجية وبيير مسمير وزير الدفاع والكسندر سانجوينتى وزير المحاربين القدماء ، وبذلك أصبحت أغلبية دى جول فى البرلمان الجديد أغلبية ضعيفة وأصبح لا أحد يدرى عما إذا كان النظام الذى أقامه دى جول سيكتب له البقاء بعد أن كاد المجلس يسقط حكومة جورج بومبيدو بعد انعقاد المجلس الجديد بشهرين ولم يبق لها سوى ثمانية أصوات .

الجنرال دى جول والامبراطورية الفرنسية فى أفريقيا :

كان دى جول بعواطفه مع أفريقيا ، كانت مستعمرات فرنسا فى أفريقيا أول من انضم إليه ما بين سنة ١٩٤٠ وسنة ١٩٤٤ وأيدوه وآزروه وكان يريد فى شهر أغسطس سنة ١٩٥٨ أن يجعلها فى رابطة واحدة ، ظل يتنقل فى أنحاء تلك المستعمرات لمدة عشرة أيام خلال ذلك الشهر ، أنتقل من مدغشقر إلى برازافيل ومن أبيدجان إلى دكاكر ، قوبل بحماس بالغ فى كل مكان ، كان يدعو إلى حكم ذاتى للمستعمرات وتجميعها رابطة أو اتحاد فرنسى ولكن فى دكاكر طالبوه بالاستقلال فوراً . عندما سمع دى جول الهتاف للمطالبة بالاستقلال أتجه إلى أحد وزرائه بجانبه متسائلاً « ماذا يريدون ؟ الاستقلال هذا غباء . . ولكن على كل حال إن كانوا يريدون الاستقلال فليحصلوا عليه » . كان ليوبولد سيذار سنجور ، رئيس جمهورية السنغال السابق ، من أنصار انضمام السنغال إلى الرابطة الفرنسية المقترحة .

أنتقل دى جول بعد ذلك إلى كوناكرى وكانت مقابله لسيكوتورى لقاءً مثيراً فقد تكلم سيكوتورى أمامه ببلهجة شديدة ضد فرنسا أستعمل فيها ألفاظ الاستعمار والاستغلال ولكنه فى الوقت نفسه لم يغلق الأبواب للتفاهم . أجابته الجنرال دى جول فى بساطة وهدوء « أن فرنسا تقترح هذه الرابطة ولا تجبر أحداً على الانضمام إليها . . . الاستقلال تحت تصرف غينيا ويمكنها الحصول عليه يوم ٢٨ سبتمبر إذا أجابت بالرفض على الاقتراح الذى قدم إليها » . (يوم ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٥٨ هو اليوم الذى حدد للاستفتاء على قيام الرابطة) . أجابت غينيا بالرفض يوم ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٥٨

وقامت الرابطة الفرنسية في أفريقيا بدونها وظلت علاقتها بفرنسا بعد ذلك تسير من سيء إلى أسوأ .

في ٣ فبراير سنة ١٩٥٩ عقد بباريس أول أجمع للمجلس التنفيذي للرابطة الفرنسية ، ولكن حصول غينيا على استقلالها الكامل شد انتباه المستعمرات الفرنسية الأخرى فطالبت غالبيتها بالاستقلال . لم يرفض الجنرال ولم يقيم العقبات بل صمم على أن تقدم فرنسا إليها معونات كبيرة في كافة المجالات إذ كان يهدف إلى أن تصبح بلاد أفريقيا الناطقة بالفرنسية مرتبطة بفرنسا بروابط تاريخية وعاطفية وهو أكبر كسب لفرنسا بدلا من الإبقاء بالقوة على امبراطورية تشع الكراهية من كل جوانبها لفرنسا .

الواقع أن سياسة دي جول هذه قد أدت مع مرور الوقت إلى بقاء تلك المستعمرات السابقة متعلقة تعلقاً شديداً بفرنسا حتى يومنا هذا فقد أرتبطت عواطفها فعلا بفرنسا ، وهي تتجه إليها في حل مشاكلها المالية والثقافية والعمرانية واتخذت من فرنسا أما عن طيب خاطر وأصبحت فرنسا قبلة لكل أفريقي من بلاد امبراطوريتها القديمة ولم تبخل عليها فرنسا فلا تزال تفتح أبوابها لشعوبها وتمنحهم الامتيازات على أراضيها وتسوى بينهم وبين المواطنين الفرنسيين في نواح عديدة وربطت عملتها بعملاتهم وكان الفضل في كل ذلك لبعد نظر دي جول الذي أقام من مجموعه تلك الشعوب رابطة حقيقية تسودها المحبة والرأى السليم في تبادل الخبرات والمصالح وجعل من الثقافة الفرنسية واللغة الفرنسية عامل أنسجام في التكفير ودافع حضارى قوى وتبادل تجارى على مستوى رفيع من الأداء والتنظيم ، وقد لخص الجنرال دي جول كل ذلك في كلمات بسيطة واضحة فقال « ان تكلمت بالفرنسية فستفكر على الطريقة الفرنسية وستشترى منتجات فرنسية » .

الجنرال دي جول وسياسته نحو أوروبا :

بعد أن أنتهى دي جول في سنة ١٩٦٢ من حل مشكلة الجزائر التفت إلى أوروبا ، وأوروبا لفظ غير محبب إلى نفسه فكان يشير إلى أوروبا على الدوام بللفظ « القارة » .

في ١٤ سبتمبر سنة ١٩٥٨ حضر إلى « كولبي لوديز اجليز » (حيث يوجد مسكن دى جول الخالص) كونراد أديناور رئيس حكومة ألمانيا للتعرف على رئيس فرنسا ، الشخصية الاسطورية الجنرال دى جول : كان اديناور متردداً لأن ما سمعه عن دى جول كان هيبه ، ولكنه أراد أن يلمس مدى ذلك بنفسه ، فما أن خرج أديناور من مسكن دى جول حتى قال « إن الجنرال ليس متعصباً لوطنيته ولكنه على إلمام تام بالموقف الدولى وأهمية العلاقات بين فرنسا وألمانيا » . كانت جملة تشمل أفكاراً ثلاثة تسجل صداقة البلدين . تأثر دى جول من ناحيته بمقابلته لأديناور إذ وجدته عدواً للعسكرية البروسية وأنه لا يهدف من سياسته إلا أن تنتعش ألمانيا وأن تعيش فى سلام وأعترف بأن أديناور رجل دولة . كان البلاغ المشترك الذى صدر بعد المواجهة يعبر عما تقدم إذا جاء به « نحن نعتقد بأن العداوة التى قامت فى الماضى يجب أن تختفى كلية وأن الفرنسيين والألمان يجب أن يتعايشا وأن يعملوا جنباً إلى جنب » . استمرت العلاقات الودية بين الرجلين ونمت طوال بقائهما فى الحكم وأستمرت بين دى جول ولودفيج ايرهارد الذى خلف اديناور فى سنة ١٩٦٣ .

الواقع أن دى جول واديناور لم يكونا على اتفاق تام بشأن المستقبل إذ كان دى جول يريد التعاون بين ألمانيا وفرنسا ولكنه كان يعمل على الاسترخاء فى علاقات أوروبا بأمريكا مع إبقاء التحالف الاطلنطى ووحدة أوروبا ، لأنه كان يرى بأن الولايات المتحدة الأمريكية تتمتع بنفوذ فى أوروبا أكثر من اللازم .

تغيرت سياسة دى جول نحو ألمانيا بعض الشيء منذ سنة ١٩٤٤ ، فقد كان فى سنة ١٩٤٥ يدعو إلى تجزئة ألمانيا إلى عدة أقاليم مستقلة ، وكان فى سنة ١٩٤٧ يعارض معارضة شديدة فى أنهاض ألمانيا وإعادة تسليحها ، ومنذ سنة ١٩٥٨ عمل بحذر لتدعيم الصداقة الفرنسية الألمانية .

فى ٢٢ يناير سنة ١٩٦٣ أمضى دى جول معاهدة الصداقة والتعاون بين فرنسا وألمانيا ، نشأت تلك الصداقة وهذا التعاون نتيجة لصداقة الرجلين دى جول وأديناور ، ولكن هذا التعاون أصابته بعد ذلك تقلبات إذ أن

دى جول كان يرى ايرهارد أقل حماساً من سلفه فى أن يكون أوروبا عن أن يكون عميلاً للولايات المتحدة الامريكية ، ولذلك فأن سياسة التقارب بين البلدين قد نسفت من جانب وخمدت من الجانب الآخر ، ولكن مشروع أوروبا الكبير لم يمت فقد أتخذ جورج كيسىنجر خليفة ايرهارد فى أواخر عام ١٩٦٦ طريقه إلى باريس ، ولكن الرجلان لم يجداً سوى القليل الذى يجمعهما . كان دى جول لا يزال مصمماً على رفضه دخول بريطانيا السوق الأوروبية المشتركة ، والمفاوضات بشأن أوروبا السياسية تتعثر .

دى جول والاتحاد السوفيتى :

فى سنة ١٩٦٦ قبل دى جول دعوة لزيارة موسكو . كانت الصورة الرسمية للزيارة بأنها رد لزيارة نيكيتا خروشوف لباريس سنة ١٩٦٠ ولكن دى جول كان يرمى إلى هدف آخر ، كان يعنى من وراء الزيارة أن وقت الستار الحديدي وعهد الحرب الباردة قد أنتهيا وليس هناك الآن شرق وغرب . فى لقاء واحد كان يرمى إلى القضاء على روح يالتا الذى يمتقه لأن فى يالتا قسم العالم إلى قسمين ولم يكن هو موجوداً فى المؤتمر . عن هذا الموضوع لم تحقق الزيارة نجاحاً إذ كان الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية لا يزالان يشعران بقشعريرة الحرب النووية فى كوبا ولم يكونا على استعداد للنسيان الدرس . كان التقارب يزداد كل يوم بينهما ، حتى أن حرب فيتنام لم تكن تباعدهما . كان دى جول يريد أن يتفاهم مع الروس على مشكلة ألمانيا ولكن الروس لم يكونوا على استعداد لمناقشة المسألة الألمانية مع أياً كان إلا مع المسئول الأول فى العالم وهو الولايات المتحدة الأمريكية لأن المسألة الألمانية بالنسبة للروس هى أخطر المخاطر جميعاً لهم . على كل حال فإن تباعد الجنرال دى جول عن الولايات المتحدة الأمريكية هو أمر يتقبله الروس على أنه هدية غير مرفوضة من ناحيتهم .

دى جول وبريطانيا :

فى شهر أبريل سنة ١٩٦٠ زار دى جول لندن وأشاد بالشعب البريطانى وبالنظام السياسى البريطانى . كان دى جول يرى بأن التاريخ قد ربط بريطانيا

بالقارة الأوروبية ولكن الجغرافيا فصلتها عن أوروبا . كان يرى بأن المصالح الاقتصادية لبريطانيا توجهها نحو أمستردام وبروكسل وباريس ولكن اللغة تجذبها نحو شيكاغو وبوستون ونيويورك .

منذ سنة ١٩٥٨ والعلاقات بين بريطانيا وفرنسا تصطدم بسبب السوق الأوروبية المشتركة وبسبب رابطة الشعوب البريطانية ومشاكل حلف الاطلنطي . في أول الأمر رفضت بريطانيا الانضمام إلى السوق ولكنها رأت بعد ذلك أن سوقاً ضخمة تقوم على الطرف الآخر من ساحلها الجنوبي . قابل رئيس وزراء بريطانيا « هارولد ماكميلان » الجنرال دى جول عدة مرات وكان يعتقد بأن الوقت قد حان لكي تنضم بريطانيا إلى السوق وطالت المفاوضات ثمانية عشر شهراً . في ١٤ يناير سنة ١٩٦٣ وفي أثناء مؤتمر صحفي لدى جول في قصر الاليزيه التي دى جول بقبلة إذ أجاب على سؤال لأحد الصحفيين عن هذا الموضوع بقوله « أن إنجلترا جزيرة بحرية مرتبطة في مبادلاتها التجارية وبأسواقها وفي تمويلها ببلاد كثيرة مختلفة وغالبيتها بلاد بعيدة ، وهي تمارس نشاطاً أساسياً في الصناعة والتجارة ونشاطها في الزراعة ضئيل ، ولها في كل هذا النشاط عادات وتقاليد خاصة بها ، أى أن طبيعة الملابس وتكوينها التي تختص بها إنجلترا تختلف عن تلك في باقي القارات » فهم الجميع من هذا التصريح بأن دى جول يعتزم إغلاق أبواب السوق أمام بريطانيا .

في سنة ١٩٦٤ عندما عادت حكومة العمال إلى تولي السلطة في بريطانيا برئاسة هارولد ويلسون كان عليها أن تستمر في قرع باب السوق لمدة ثلاث سنوات . كان دى جول يرى بأن السوق الأوروبية المشتركة هي ميراث الجمهورية الفرنسية الرابعة التي لا تتفق وفكرة دى جول عن إعادة بناء أوروبا ، ولكن دخول بريطانيا السوق كان يعنى بالنسبة لدى جول جسراً في أوروباً للولايات المتحدة الأمريكية . عادت المفاوضات الطويلة من جديد .

الجنرال دى جول والولايات المتحدة الأمريكية :

كان دى جول يعتقد بأن المسؤولين الأمريكيين يرتكبون حماقة بعد

حماقة وكان لا يثق بالدبلوماسية الأمريكية التي كان يصفها بالسذاجة والخشونة ، كان يناوئ سيطرة الولايات المتحدة في الوقت الذي كان يرى فيه بأن هذه السيطرة ضخمة أكثر من اللازم ، وفي الوقت نفسه كان يرى خطورة تجاهل موازين القوى إذ كان الاتحاد السوفييتي يمثل خطراً على العالم لرغبته في بسط سيطرة الشيوعية على العالم ، ولذلك فهو يأخذ حذره دائماً من أن يذهب بعيداً في مواجهة المسؤولين الأمريكيين وهو لا يجهل بأنه إن حدثت مواجهة بين القوتين الكبيرتين فستجد فرنسا نفسها - على الأقل في أوروبا - جنباً إلى جنب الولايات المتحدة الأمريكية ، فعندما نشبت أزمة كوبا صمم جون كيندي على أن يسحب نيكيتا خروشوف الصواريخ التي أقامها الاتحاد السوفييتي في كوبا فوراً . كان دي جول أول رئيس دولة غربية يعلن تأييده لكيندي بينما كان العالم خلال تلك الأيام على حافة الحرب . الولايات المتحدة الأمريكية إذن دولة حليفة لفرنسا ، قالها دي جول لآيزنهاور عندما تقابلا وأعادها على مسامع كيندي في باريس ولكنه في الوقت نفسه يراها حليفاً ضخماً وهائلاً أكثر من اللازم يسد على فرنسا كل المسالك ويعمل على أن يبسط سيادته على أوروبا بينما لأوروبا تاريخ طويل في الخبرة الدبلوماسية . كانت الولايات المتحدة الأمريكية تعتبر أن أوروبا بالنسبة إليها تنتهي عند الستار الحديدي بينما كان دي جول يرى بأن التاريخ والجغرافيا وتيارات التبادل ستحطم هذا الستار الصناعي يوماً ما لأنه أقيم بين شعوب تعيش جنباً إلى جنب منذ قرون طويلة .

كان دي جول يعادى سياسة الولايات المتحدة في آسيا على وجه الخصوص . كان يفهم جيداً بأن آسيا لها أهميتها للولايات المتحدة كأهمية أوروبا ولكنه كان يخشى أن تؤدي حماقة السياسة الأمريكية إلى قيام مواجهة لها مع الصين ، وكان يقدر بأنه إن قامت تلك المواجهة فإن دي جول سيستعمل كل ما في وسعه حتى لا تجر فرنسا ولا أوروبا إلى الاشتراك في تلك المواجهة .

فى ٣ سبتمبر سنة ١٩٥٩ استقبل الجنرال دى جول الجنرال آيزنهاور رئيس الولايات المتحدة الأمريكية فى قلعة رامبوييه بجوار باريس . كان الرجلان يعرفان بعضهما منذ وقت طويل وكان دى جول يحمل شعوراً طيباً لقائد جيوش الحلفاء الذى أخذ برأى دى جول مرتين ، المرة الأولى بشأن تحرير باريس سنة ١٩٤٤ والثانية بشأن عدم الانسحاب من ستراسبورج بعد أن أستعادتها قوات الحلفاء من يد الألمان .

عندما أغتيل جون كيندى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية فى نوفمبر سنة ١٩٦٣ توجه الجنرال دى جول إلى واشنطن ليسيّر فى جنازة « أذكى السياسيين الذين ظهرُوا على مسرح السياسة الأمريكية منذ وفاة روزفلت » وعاد دى جول إلى باريس ليستمر فى سياسة فصل فرنسا عن منظمة حلف الأطلسى بالتدريج . فى ٣٠ مارس سنة ١٩٦٧ غادرت فرنسا آخر القوات الأمريكية فى حلف الأطلسى وتم نقل قيادة حلف الأطلسى من فرنسا إلى ضواحي بروكسل . بذلك أسدل الستار على حقبة دامت ثلاث وعشرين سنة . وفى منتصف مارس سنة ١٩٦٤ قام دى جول بزيارة المكسيك لمدة أربعة أيام وألقى خطاباً فى جمهور بلغ عدده أكثر من نصف مليون نسمة .

فى خريف نفس العام قام بزيارة البرازيل والأرجنتين وشيلي وأورجواى وبعض دول أخرى فى أمريكا اللاتينية . قوبل بحماس شديد فى كل مكان . لم يكن هدفه من تلك الزيارات مهاجمة الولايات المتحدة الأمريكية ولم يكن بحاجة إلى إلقاء الخطب لذلك ، ولكن شعوب تلك البلاد قابلته بحماس جارف كرمز لمقاومة نفوذ الولايات المتحدة الأمريكية .

فى سبتمبر سنة ١٩٦٦ زار دى جول كمبوديا ، على بعد كيلو مترات من فيتنام الدائمة . ألقى خطاباً أستنكر فيها تصرفات الأمريكين فى فيتنام ، تقبلت واشنطنجتون كلام دى جول بالصمت لأن كيندى كان يرى فى دى جول حليفاً صاخباً فى حاجة لأن يهاجم الولايات المتحدة الأمريكية ليوطد سلطانه فى الداخل فضلاً عن أن كيندى كان لا ينسى لدى جول

بأنه أول رئيس أكد له تأييده التام ابان أزمة كوبا ، غير أن ليندون جونسون ليس كيندى وموقفه مختلف فهو منغمس لأذنيه فى حرب فيتنام ولا يسمح لأن يلفت نظره رئيس دولة ساعدتها الولايات المتحدة الأمريكية على مدى ستة عشر عاماً وحاربت من أجل تحريرها ، ولذلك فقد فترت العلاقات بين فرنسا دى جول والولايات المتحدة الأمريكية ليندون جونسون. لا ينكر أحد بأن الجنرال دى جول قد حقق لفرنسا أستقلالها ونالت فى عهده احتراماً خاصاً فى أغلب دول العالم الثالث . كان يثير المتاعب للولايات المتحدة الأمريكية ولبريطانيا وألمانيا واكن ذلك كان لا يهم دى جول فى كثير طالما أن تلك السياسة تؤدى إلى مصلحة فرنسا وتضعها فى المكان الذى يريد دى جول أن يضعها فيه وهو أن تكون فى الصف الثانى على أن تكون على رأس الدول التى تكافح تقسيم العالم إلى معسكرين .

دى جول والقبلة الذرية :

لم يكن دى جول هو الذى أكتشف القبلة الذرية لفرنسا ، بل أنه وجدها عندما تولى السلطة فى سنة ١٩٥٨ . غير أن دى جول هو الذى ربط فرنسا برباط شديد بسياسة التسليح النووى وحجته فى ذلك هو أنه ليس هناك أستقلال ممكن بدون قوة عسكرية ، وأن القوة العسكرية بعد هروشيا هى القبلة الذرية . كان دى جول يعترف بمبدأ خطورة الأسلحة النووية على البشرية وكان على أستعداد لإيقاف جهوده فى الميدان النووى بشرط أن تبدأ الدولتان الكبيرتان بإيقاف تجاربهما . ونظراً لأن الدولتين لا تعترضان إيقاف تجاربهما فإنه يرفض مرة أخرى روح اتفاق يالتا أى تقسيم العالم إلى منطقى نفوذ بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية ويضع الأسس لجيش نووى لفرنسا .

أختلفت الآراء ووجهات النظر كثيراً حول هذا الموضوع فى فرنسا . اليسار الفرنسى ، الشيوعيون والاشتراكيون ينادون بأن تحجم فرنسا عن أتباع سياسة عسكرية يعتبرونها مخربة لفرنسا . ترد الحكومة على ذلك بأن هذا ليس صحيحاً لأن ميزانية الدفاع فى أنخفاض سنة بعد أخرى منذ عام ١٩٥٨ . يجيب اليسار الفرنسى على ذلك بأن قوة الردع الفرنسية

ستكون عديمة الفائدة والتأثير ، وتجب الحكومة بأنه بعد بضع سنوات ستمتلك فرنسا قوة نووية كافية لردع أى مهاجم. يقول اليسار بأن علماء فرنسا يشتغلون فى أبحاث لا طائل من ورائها لأنها تتعلق بمحاولة اللحاق بموسكو وواشنطن. اللتان سبقتا فرنسا بمقدار عشرين سنة فى تلك الأبحاث . تقول الحكومة أنه بجعل فرنسا قوة نووية فإنها تعطى دفعة ثابتة للأبحاث فى ميدان الذرة التى ستقرر مصير عالم الغد ، وبينما كانت تلك المناقشات دائرة كانت التجارب النووية الفرنسية مستمرة فى الباسفيك وكانت أولى الصواريخ النووية الفرنسية تنطلق فى تجارب بالصحراء الكبرى .

أقول نجم دى جول :

كان دى جول يعتقد بأنه طالما لم يحقق العدل الاجتماعى للشعب الفرنسى وقيم المجتمع الفرنسى على أساس العلاقات الإنسانية الاجتماعية فإنه يكون قد وصل فقط إلى منتصف الطريق إلى هدفه . بدأ دى جول منذ منتصف سنة ١٩٦٧ يوجه إلى زائريه نفس السؤال الذى كان لينين يطرحه على أعوانه « ما العمل » ؟ لم تكن المعارضة التى تكتلت ضده تقلقه ، لم يكن الحزب الشيوعى هو الذى يقلقه لأنه كان يعتبره خصماً يستحق الاحترام ولكن كان الذى يقلق باله وتفكيره هو الانفصال التام بين طبقة العمال وبقية طوائف الشعب . كان يسأل زعماء النقابات الذين يزورونه « ماذا كنت تفعل لو كنت مكافى ؟ » كما كان يسأل كبار المثقفين « ما هو رأيك ؟ » كان شعور دى جول بأن المثقفين لا يحبونه فتأصل هذا الأحساس فى نفسه وتعود على تقبله ، كان يرى بأن المثقفين يكتفون بأن يطلقوا الشعارات ويكررونها دون أن يكلفوا أنفسهم مشقة فهم تطور العالم والبحث عن حلول لمشاكل هذا التطور وكان دى جول بطبيعته يمتد الرأسمالية ويسمىها « عالم التجار » ، كان بتأمله وتفكيره يكره النظام الشيوعى الذى لا يمكن للإنسان أن يعيش فيه إلا بالخضوع .

أراد دى جول أن يفلسف حكمه فكان يناقش أصدقاءه وأعوانه من أنصار اليسار مثل « رينيه كابيتان » ولويس فالون . لم يترك صاحب

رأى مرموق إلا وناقشه وأستمع إليه ، بل كثيراً ما أستقبل سرّاً فى قصر
الإنجليزية أحد أعوانه القدامى الأوفياء « بيير لوبران » الذى كان فى وقت
من الأوقات سكرتيراً عاماً للاتحاد العام لعمال فرنسا حتى يلم إماماً تاماً
بتفكير النقابيين .

لم يصل دى جول فى تأمله وتفكيره إلى نتيجة إلا بالنسبة لنقطة واحدة
وهى أن الإنسان لا يمكنه أن يعيش من ثمان إلى عشرة ساعات يومياً
 وخمسة أو ستة أيام أسبوعياً بلا هدف بالنسبة لعمله فهو إما يحب عمله
أو يكرهه وربما حمل الشعورين معا ، ولكن بين هذا الجزء الأساسى من
نشاط الإنسان والمعنى الذى يعطيه لحياته يجب أن يحدث تلاحم أو توافق
وإلا فإن النظام الاقتصادى سينهار كما أنهار النظام السياسى للجمهورية
الرابعة . الحل النظرى لهذه المشكلة سهل وهو أنه يجب على من يعمل أن
يتحمل مسئوليات ، ولكن السؤال الذى بقى بدون جواب هو أين ؟ وكيف ؟
لقد حلت روسيا المشكلة بحيلة مشعوذة وهى نظرية إذابة الطبقات وفرض
نظام حديدى صارم ونشر دعاية مكثفة مستمرة تكرر على مسامع العمال
بأن الدولة هى ملك لهم ، غير أنه فى ميدان السياسة لا يمكن ممارسة الشعوذة ،
فالروس الآن يدفعون ثمن النظام الذى اخترعه البلشفيك اختراعاً مبنياً على
فقدان الحريات الأساسية للفرد وأدى إلى تخلف أنتاجهم الصناعى وأنتاجهم
الزراعى ، ولذلك فلم ير دى جول بأن النظام الروسى هو الطريق السليم .

الأمريكيون بطريقتهم الخاصة يتقدمون على طريق آخر وهو تعميم
ملكية العمال فى المصانع لجزء من أسهم الشركات التى تملك تلك المصانع ،
وهذا النظام بالنسبة لدى جول نظام تمويه فليست ملكية جزء من الأسهم
هى التى تسمح حقيقة للعمال بأن تكون لهم كلمة مسموعة داخل الشركة ،
والشركة هى أساس العالم الصناعى . وصل دى جول إلى أنه يجب إيجاد
حل فرنسى يأخذ فى الاعتبار المزاج الخاص للشعب الفرنسى يتفق ومحببة
الفرنسى للعمل وتذوقه للتدمير ويتفق أيضاً بين هوايته للدخار وحاجته
المستمرة للتصور والخيال .

في سنة ١٩٦٦ أهدى دى جول إلى نظام « لجان المؤسسات » وقوى من سلطاتها وأدخل مبدأ المشاركة والانتفاع الذى يسمح للعامل النظامى أن يحصل على نسبة معينة من أرباح المؤسسة بعد خمس سنوات من العمل . لكن هذا لم يكن له أهمية بالنسبة لدى جول إذ رأى بأن هناك مجالا آخر لفلسفة الحكم وهو نظام « المناطق » . أهدى إلى هذا النظام أحد وزراء دى جول وهو « أوليفيه جيسار » وظل يشرح لدى جول مزاياه لكى يخفف من تركيز السلطة فى باريس ولكى يشعر كل مواطن فرنسى بأنه مشارك فى تحمل مسؤولية إقرار ما يعمل . يجب إذن إلغاء تقسيم فرنسا إلى محافظات ، هذا التقسيم الإدارى القديم الذى ينبع من تفكير نابليون ، واستبداله بنظام المناطق « ذوات المجالس المنتخبة وهو نظام ، قال عنه دى جول « حتمى اقتصادياً وضرورة سياسية » بعد تردد طويل قبل دى جول أن يدخل معركة لتطبيقه . كان حذراً فى البداية إذ عرض الفكرة لأول مرة فى خطاب له بمدينة ليون يوم ٢٤ مارس سنة ١٩٦٨ . أستعمل دى جول كلمة « مشاركة » تعبيراً عن وجهتى المحاولة الجديدة ، فالمواطن يمكنه أن يشترك ، حسب دى جول ، فى حياة المؤسسة التى يعمل بها ويشترك أيضاً فى حياة المنطقة التى ينتمى إليها . كان دى جول يعلم بأن تطبيق النظام المقترح يستلزم مسيرة طويلة ، مسيرة قد تكون أطول من كل مسيرة سابقة منذ عام ١٩٤٠ ولذلك فهو بحاجة إلى الوقت . دى جول فى حاجة إلى الوقت وقد مضى عليه فى السلطة عشر سنوات وغطى ظله فرنسا بأكملها منذ ثمانية وعشرين عاما ، ولكن كان على دى جول العملاق أن يصارع الشيطان الآن ، والشيطان هذه المرة اسمه دانييل كوهين - بنديت » عمره ٢٣ سنة ، كان طالباً بكلية آداب جامعة نانتر ، ماركسى العقيدة ، مناهض للشيوعية لأن الشيوعيين جميعاً - كما يقول - « أنذاق ستالينيه » . نانتر ضاحية غرب باريس ، أعضاء بلديتها من الشيوعيين ، جامعتها جديدة ، تحوطها منازل متواضعة يسكنها عرب من شمال أفريقيا ، طلبتها يشعرون بالضيق فى هذه الضاحية الفقيرة ، أبتدع أساتذتها أسلوباً حديثاً فى التدريس الجامعى وكأنها ثورة فى التعليم الجامعى ، كان الطالب يقف على مستوى واحد من الأستاذ يناقشه الرأى

و يجادل : كانت أوساط الطلبة بتلك الجامعة مطعنة منذ بضع سنوات بعناصر يسيطر على تفكيرها حب الثورة و يبحثون عن وسائل تفكير لهم من بين آراء كارل ماركس .

في ٢٢ مارس أحتل جماعة من الطلبة قاعة مجلس كلية الآداب بالجامعة بزعامة دانييل كوهين بنديت الذي كان يتميز بين زملائه بخطبه الحماسية البليغة و صراخ حنجرتة القوى و اطلقت تلك الجاعة على نفسها اسم « يساريو نانثير » .

في ٢ مايو هاجم الطلبة مباني الجامعة و ألقوا بملفات الإدارة من النوافذ وكانت أول مرة يحاول فيها الطلبة أحتلال مباني الجامعة و طرد الأستاذ المحاضر من المدرج بحجة أن لديهم فيلماً سينمائياً عن إحدى الثورات في مكان ما من العالم و يريدون مناقشة ما ورد به من أحداث . أمام هذا التصرف أصدر عميد الجامعة أمراً بتعطيل الدراسة لحين أشعار آخر وفي اليوم التالي أحتل رجال الأمن مباني الجامعة و بذلك بدأت المعركة ، و امتد الغضب إلى الحى اللاتينى فى باريس و أصطدم الطلبة برجال الأمن حول السوربون ف لجأ البوليس إلى إخلاء الجامعة و إغلاقها .

لم يتردد دى جول فى تحدى الطلبة فى حرم الجامعة . تمكن « دانييل كوهين بنديت » من تزعم مظاهرة طلابية مساء يوم ١٠ مايو من عشرين ألف طالب تحدث رجال الأمن بأن طلبت رفع الحصار عن مباني الجامعة . أمر مدير أمن باريس رجال الأمن برد هجوم الطلبة على الجامعة بالقوة و أستمرو الاشتباك حتى الفجر و أسفر عن ٣٦٧ جريحاً و ٤٦٠ طالباً قبض عليهم رهن التحقيق و ١٨٨ سيارة محطمة منها ستون أحرقت تماماً و أصبح الحى اللاتينى بباريس وكأنه ساحة معركة .

فى ١١ مايو سنة ١٩٦٨ قررت النقابات العمالية أن يكون يوم ١٣ مايو يوم أضراب عام يصحبه مسيرة رهيبة . قامت مظاهرة من مليون شخص تسير فى شوارع وسط باريس . كان رئيس الوزراء جورج بومبيدو منذ ٢ مايو فى زيارة رسمية لإيران و أفغانستان فعاد إلى باريس

ورغمًا عن تردد دى جول فى الموافقة على إعادة فتح الجامعة فقد أمر بومبيدو بإعادة فتحها . فى اليوم التالى لإعادة فتح الجامعة سافر دى جول إلى رومانيا فى زيارة رسمية تاركًا الدولة فى أيدي رئيس وزرائه جورج بومبيدو ، كان ذلك تحولاً خطيراً ، لقد بدأ نجم دى جول فى الأفول وبدأ نجم جورج بومبيدو فى الصعود .

توالت الأحداث ، حول الطلبة مبانى الجامعة إلى مركز للثورة وفى ١٥ مايو سنة ١٩٦٨ أعلن عمال مصانع رينو الأضراب واحتلوا المصنع . فى بحر بضعة أيام ولأول مرة توقفت كل فرنسا عن العمل إذ امتدت حركة الإضراب من مصنع إلى آخر ومن بلد إلى بلد ولم تبق طائفة لم تشترك فى الإضرابات سوى طبقة الفلاحين ، إنها ثورة حقيقية أصابت البلاد من أولها إلى آخرها بالشلل حتى موظفو الراديو والتلفزيون وعددهم قرابة الثلاثة عشر ألفاً أضربوا واحتلوا مبنى الإذاعة . كانت الشكوى العامة للعمال والموظفين هى انخفاض الأجور عن مستوى نفقات المعيشة ولم تتمكن النقابات من السيطرة على أعضائها .

فى ١٨ مايو عاد دى جول من رومانيا وبعد بضعة أيام ظهر للفرنسيين على شاشة التلفزيون يعرض عليهم إجراء أستفتاء عن نظامه المقترح الذى أسماه . « المشاركة » . فى هذه المرة لم يجد كلام دى جول طريقاً إلى نفوس الفرنسيين إذ أنه فى ٢٧ مايو عادت مظاهرات الطلبة واشتركت معهم فيها الأحزاب اليسارية التى تألفت مع بعضها بسرعة لاقتسام الغنيمة إذا ما سقط دى جول وتوالت الأحداث الرهيبة وأصبحت الدولة فى ركود تام بعد أن تسلم الشارع السلطة .

قبل ظهر يوم الأربعاء ٢٩ مايو ، وهو اليوم الذى حددته الاتحاد العام للعمال لمسيرة ضخمة ، ترك الجنرال دى جول قصر الأليزيه إلى مكان مجهول دون أن يخطر أحداً ، وبعد الظهر كان هناك نصف مليون عامل وكأنها تعبئة عامة ، يسرون فى الشوارع الرئيسية بوسط باريس فى نظام رهيب ، ولأول مرة منذ سنة ١٩٣٦ أمر الحزب الشيوعى أتباعه بأن

يرفعوا الأعلام الحمراء . غالبية الشعب الفرنسي هالها رؤية تلك الأعلام وفجأة بدأت تبحث عن الجنرال .

في المساء عرف أين يوجد الجنرال . في اليوم التالي توجه دى جول إلى الإذاعة وبصوت ثابت ولهجة صارمة أعلن حل المجلس الوطني (البرلمان) وحدد يومى ٢٣ و ٣٠ يونية لإجراء انتخابات تشريعية جديدة ، وقرر إبقاء الحكومة في السلطة، وأعلن بأن النظام سيحترم وأنه لن يتخلى عن الحكم . قامت مظاهرة ضخمة تؤيد دى جول . رأى الطلبة بأنه لم يبق لهم إلا احترام النظام والالتجاء إلى الحوار فأقلعوا عن أعمال العنف . بدأت المفاوضات بين الاتحاد العام للعمال ورئيس الحكومة وبعد عدة أسابيع توصل الطرفان إلى الاتفاق وتقرر عودة العمال إلى أعمالهم .

وكانت الانتخابات التشريعية يومى ٢٣ و ٣٠ يونية نصراً حاسماً لدى جول . فقدت أحزاب اليسار أكثر مقاعدها كما خسرت أحزاب الوسط ، وأصبح لدى جول بالمجلس الجديد ثلاثمائة مؤيد .

عين دى جول « موريس كوف دى مورفيل » رئيساً للحكومة خلفاً لجورج بومبيدو . كوف دى مورفيل ثالث رئيس وزراء في عهد الجمهورية الخامسة وكان وزيراً للخارجية في الحكومة السابقة .

حاول موريس كوف دى مورفيل إصلاح الموقف دون فائدة فقد كانت أحوال البلاد قد وصلت إلى درجة كبيرة من التعقيد ، ارتفعت الأجور ارتفاعاً ضخماً نتج عنه تضخم نقدى كبير وبدأ سعر الفرنك في الهبوط في أسواق النقد الخارجية ، وما أن حل الخريف حتى بدأت رؤوس الأموال تهرب من فرنسا واضطرت الحكومة إلى تخفيض سعر الصرف للفرنك .

عاد دى جول من جديد يقترح إجراء استفتاء على مشروعه الخاص « بالمشاركة » وأعد بياناً طويلاً عن المشروع . دارت المعركة بشأن المشاركة وتقسم فرنسا إلى مناطق في جو غريب . لقد أعطى الفرنسيون لدى جول — منذ ثمانية أشهر فقط — أغلبية في المجلس التشريعى لم يسبق

لأحد من رؤساء فرنسا أن حصل عليها في مجلس تشريعي والآن يبدو هذا الرئيس عاجزاً عن السيطرة على مظاهرات طلابية وتهدة النقابات وإعادة الثقة في الفرنك . كان رئيس وزراء دي جول الجديد المسيو موريس كوف دي مورفيل شخصية محبوبة ولكنه لم يكن حازماً . طلب الجنرال دي جول هذه المرة من الشعب الفرنسي أن يدل بأصواته... ولكن على أي شيء . . . على نظام جديد يقضى بتقسيم الدولة إلى مناطق لم تفهم الأغلبية العظمى من الشعب ما هو المقصود منها إذ لم يكن البيان الذي صدر عنها كافياً لإفهام تلك الأغلبية الهدف من هذا النظام المقترح ولا فائدته ، فهل قصد دي جول أن يحصل من جديد على تأكيد بأن الشعب الفرنسي يريد أن يستمر رئيساً للدولة . هل كان دي جول يشعر بأن الشعب قد بدأ يتململ من حكمه ولذلك فقد قرر بأنه خير له أن يهزم بصراحة عن طريق الاستفتاء - الأداة التي أستعملها على الدوام - على أن يبقى على رأس الدولة ضد رغبة غالبية الشعب ! إن أنتصر فسوف يؤكد سيطرته وسلطاته وإن هزم فسيظهر للفرنسيين بأن الاستفتاء هو أداة سليمة للديموقراطية السليمة :

أجرى الاستفتاء في ٢٧ مايو سنة ١٩٦٩ وأعلنت نتيجته في المساء وكانت هزيمة لدى جول إذ رفض أحد عشر مليوناً وتسعمائة وخمسون ألفاً مشروعه وقبله عشرة ملايين وخمسمائة ألف فرنسي :

طبقاً للدستور الذي وضعه دي جول نفسه كان عليه أن يترك الحكم ولذلك فقد اعتبر نفسه مستقياً منذ أن أعلنت نتيجة الاستفتاء . بعد منتصف الليل بقليل صدر بيان عن الجنرال دي جول جاء فيه « أنني أتوقف عن ممارسة مهامى كرئيس للجمهورية وأن هذا التوقف يصبح نافذاً ابتداء من اليوم عند الظهر » .

غادر الجنرال دي جول قصر الاليزية إلى مسكنه في « كولومبي لوديز اجليز » لبدأ حياته الخاصة كمواطن فرنسي عادى .

الجنرال دي جول في عزله :

عرف دي جول المنفى في لندن والسلطان في باريس وقد انتهى الآن كل

شئ وأصبح سلطانه يمتد على امبراطورية صغيرة جداً في حجمها تسكنها الطيور والأشجار وتملؤها ذكريات بعد أن أراح نفسه من مشاكل الشعب والحكم ، فهو في الصباح يمشى بين الأشجار ويستمتع إلى نداء الطيور ويجلس بعد الظهر ليدون مذكراته ، ويجلس في المساء ، كما يفعل ملايين الفرنسيين ، لمشاهدة التليفزيون ينتقدون برأجه وينددون بتفاهة ما يقدمه لهم : لكن الجنرال كان يسرع في تدوين مذكراته لتكون للفرنسيين سجلاً للتاريخ.

رفض دى جول أن يشترك في أى احتفال في أية مناسبة ، حتى أنه تعمد أن يغيب عن فرنسا في مناسبة ١٨ يونيو من عام ١٩٦٩ إذ سافر بصحبة زوجته في مايو سنة ١٩٦٩ إلى إيرلندا دون أن يخطر أحداً . وفي يونيو سنة ١٩٧٠ سافر دى جول إلى أسبانيا لزيارتها وقابل يوم ٨ يونيو الجنرال فرانكو الذى كان صديقاً حميماً للماريшал فيليب بيتان . عندما قابل دى جول فرانكو بادره بجملة ذات مغزى ، قال له « أنت الجنرال فرانكو ، شئ على كل حال ، أما أنا فقد كنت الجنرال دى جول » .

كان دى جول يفكر في زيارة الصين وكان يأمل أن يتقابل الجنرال دى جول مع الرئيس ماو في مكان ما على ظهر الكرة الأرضية قبل نهاية الألف سنة الثانية من مولد المسيح ، لذلك قرر أن يقوم بهذه الزيارة في سنة ١٩٧١ أن امتد به العمر .

وفاة الجنرال دى جول :

استيقظ الجنرال دى جول في صبيحة يوم ٩ نوفمبر سنة ١٩٧٠ ليقوم بنزهته الصباحية في حديقة مسكنه . في الساعة السابعة مساءً جلس على الكرسي الذى اعتاد أن يجلس عليه أمام جهاز التليفزيون مساء كل يوم في انتظار نشرة الأخبار ويده مجلة يقلب صفحاتها وفجأة شعر بالآلام حادة في صدره فطلب استدعاء طبيب العائلة الدكتور « جى لاشيني » . عندما وصل الطبيب كان القضاء قد حم ، دخل دى جول في غيبوبة وبدأ الألم على وجهه ، تبين للطبيب بأن التنفس قد توقف ولم يكن هناك شئ يمكن عمله ، وماهى إلا بضعة دقائق حتى أسلم الجنرال دى جول روحه .

طلبت قرينة الجنرال دى جول عدم إذاعة الخبر حتى تستدعى أفراد العائلة ، ولما حضر الجنرال « دى بواسييه » زوج ابنته « اليزابيث دى جول » قام بابلاغ النبأ إلى رئيس الجمهورية جورج بومبيدو وكانت الساعة قد قاربت الرابعة صباحا . فى الساعة صباحا كان النبأ قد عرف على مستوى المسئولين ، وفى التاسعة إذاع الراديو النبأ الحزين رسمياً على الشعب الفرنسى الذى تقبله بدهشة إذ كان الجنرال يبدو وهو فى أتم صحة .

وصية دى جول :

كان دى جول قد حرر وصيته فى ١٦ يناير سنة ١٩٥٢ ووضعها فى مطروف محكم الغلق وسلمه إلى جورج بومبيدو وكتب على المطروف « من أجل الجنازة » بادر بومبيدو بفض المطروف وإذاعة نص الوصية . كانت الوصية تحتوى على ما يلى : « أريد أن تكون جنازتي فى قرية كولومبي لوديز اجلز » أن قبرى سيكون حيث دفنت ابنتى آن وحيث ستدفن زوجتى يوما ما . أريد أن يكتب على القبر شارل دى جول ١٨٩٠ ولا أريد غير ذلك . أريد أن ينظم حفل الجنازة بمعرفة أبنى وأبنتى وزوجها وزوجة أبنى بمساعدة أفراد مكتبي بحيث يكون الاحتفال غاية فى البساطة . لا أريد جنازة وطنية ، لا أريد أن يشارك فيها لا رئيس الجمهورية ولا وزراء ولا أعضاء مكتب المجلس الوطنى (البرلمان) ولا أعضاء المؤسسات الدستورية . يمكن أن تشارك أسلحة القوات الفرنسية رسمياً وأن يكون أشرافها هذا بصورة رمزية جداً بدون موسيقى ولا أعلام ولا أجراس . لا أريد خطباً لا فى الكنيسة ولا فى أى مكان آخر . لا أريد رثاءاً فى المجلس الوطنى (البرلمان) لا أريد أن يكون هناك مكان أثناء الجنازة إلا لعائلتى ولرفاقى أعضاء وسام التحرير ولاعضاء مجلس بلدى كولومبي لوديز اجلز . يمكن لرجال فرنسا ونسائها ، إن أرادوا ، مع غيرهم من البلدان الأخرى ، أن يحياوا ذكرى بمصاحبة جثمانى إلى مقره الأخير على أن يكون ذلك بمنتهى الهدوء الذى أرجوه منهم . أننى أرفض من الآن أى تكريم من أى نوع ، أرفض أية ترقية أو إشادة أو أوسمة سواء أكانت

فرنسية أو أجنبية وإن منحت لأسمى أياً منها فإن ذلك سوف يكون ضد رغباتي الأخيرة » .

في صباح يوم إعلان نبأ الوفاة اجتمع مجلس الوزراء الفرنسي وقرر أن يكون يوم الدفن يوم حداد وطني .

مرة أخرى أخذت أفواج لا حصر لها من الفرنسيين ، كأمواج البحر ، ترحف إلى كولومبي لوديز اجليز لتحية الشخصية الاسطورية للمرة الأخيرة . أعلن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية المستر نيكسون بأنه قادم إلى باريس وأخذت برقيات العزاء تنهال على قرينة الجنرال من كل أنحاء العالم ، من كافة الملوك ورؤساء الجمهوريات ، وبلغ عدد رؤساء الدول الذين قرروا الحضور إلى باريس ثمانون رئيساً .

كان هناك سؤال لم يكتبه دي جول في وصيته ولكنه ولا شك كان يدور في خلده وينتظر من الفرنسيين أن يجيبوا عليه في ذلك اليوم وهو « لرجال فرنسا ونسائها أن يقولوا إن كنت قد قت بخدمة هذه البلاد خدمة مرضية » . كانت إجابة رجال فرنسا ونسائها واضحة جلية فقد توقفت فرنسا بأكملها لتحيي دي جول وهو في طريقه إلى مثواه . أحشد ملايين الفرنسيين في كافة الطرق المؤدية إلى كولومبي لوديز اجليز وحول كنيسة نوتردام حيث أقيمت صلاة الجنازة على روحه ومن لم يتمكن من الخروج إلى الشوارع والطرقات وقف أمام أجهزة التلفزيون ليشاهد دي جول للمرة الأخيرة . قدر عدد الذين حيوه وودعوه بخمسمائة مليون شخص على شاشات أجهزة التلفزيون في كافة أرجاء الأرض وهو يوارى مقبرته المتواضعة في كولومبي لوديز اجليز . قيل إن وداع دي جول قد شد سكان الأرض إلى أجهزة التلفزيون بما لم يسبق له مثيل في تاريخ البشر إلا حادثين ، أولهما نزول الأمريكيين على سطح القمر ، وثانيهما الألعاب الأولمبية الدولية .

في مساء يوم الجنازة هطل مطر غزير على باريس ولكن مئات الألوف

من الباريسيين ساروا في مسيرة صامتة إلى قوس النصر في ميدان « ليتوال » ليضعوا الزهور على قبر الجندي المجهول .

ماذا كان يدور في خلد الفرنسيين بعد اختفاء دي جول ، لا يعرفه أحد ، ولكن في خلد الرجال والنساء الذين بلغوا الأربعين هو صفحة من تاريخ فرنسا قد طويت ، هذه الصفحة بدأت بالهزيمة الرهيبة والتعاون المظلم مع الألمان ثم النهوض لبناء فرنسا من جديد . لن ينسى الفرنسيون تلك العاصفة الجزائرية التي هددت فرنسا بحرب أهلية ضارية وفوق كل هذا كفاح رجل فرنسي عظيم من أجل أن تكون فرنسا رائدة الحضارة في أوربا .

أما بالنسبة لشباب فرنسا فقد ثاب إلى رشده وأدرك بأن دي جول لم يكن كما كان هذا الشباب يتصوره رجلاً عجوزاً يتربع بصفة دائمة على رأس الحكم في فرنسا . أيقن هذا الشباب الآن بأن دي جول شخصية أسطورية بدأ وهو في سن الخمسين ، السن الذي يركن فيه الكثيرون إلى التمتع بمباهج الحياة ، ليكافح من أجل مستقبل بلاده ومن أجل هذا الشباب ويتعرض في سبيل ذلك لآلاف المخاطر وتنتابه كل يوم عشرات الانفجالات . لقد اعتاد الشباب الفرنسي أن يبحث عن الأبطال الثوريين فتنهبوا فجأة في ذلك اليوم بأنهم قد نحوا جانباً بطلاً شامخاً من هؤلاء الأبطال ولم يشعروا بهذه الخسارة الفادحة إلا يوم أن أختفى عن الأنظار .

الجنرال دي جول شخصية أسطورية في تاريخ فرنسا الحديث :

كان لدى جول وجه تحرري جمهوري ثابت ووجه محافظ وكان مفهومه للديموقراطية يتشكل على هذه الصورة الواضحة فيه . لم يكن يتحمل أن يروض نفسه على التآلف مع قاعدة دستورية تضع السلطة في يد البرلمان ، بل كان يؤمن بأن السلطة التنفيذية هي القوى المحركة للدولة وعلى رأسها رئيس الجمهورية . الدولة بالنسبة له هي الشعب ثم البرلمان ثم الحكومة وأخيراً رجل يحرس القانون والوطن ، ولهذا الرجل الحارس الحق في أن يلجأ إلى الشعب يستفتيه في أي أمر يقدر هو أهميته . حول هذه النقطة دار النزاع دائماً بين دي جول وخصومه من البرلمانيين فهم يتهمون بأن

سياسته هي سياسة «السلطة الشخصية» والنسبة لدى جول «فليست هناك سلطة غير شخصية ، والتاريخ شاهد على أن الشخصية القوية تسيطر على البرلمان فإن لم تنجح في السيطرة على البرلمان قضى البرلمان عليها » . بالنسبة لخصوم دى جول هذا المفهوم لمهمة البرلمان لا يمكن قبوله ولا احتمال له لأن البرلمان هو الحوار وبعد الحوار الاتفاق والاتفاق هو جوهر النظام الديمقراطي ، وأن أى بشر يتمتع بمفرده بسلطات واسعة ينتهى به الأمر إلى الاستهانة بمصالح الشعب وفرض إرادته عليه ، وأن السلطة تفسد والسلطة المطلقة تخرب . كانت هذه مناقشة بين دى جول وخصومه لا مخرج منها وإن كان دى جول على حق فإن البرلمانيين كانوا على حق أيضاً .

كان دى جول مؤمناً بأمرين ، أولهما فرنسا وثانيهما بشخصيته كرمز لفرنسا ، كان يريد فرنسا قوة عظمى ، ولذلك صمم على أن تمتلك قوة ردع نووية خاصة بها . كان دى جول يحتاج إلى وقت لتحقيق آماله ، ولكنه كان قد تعدى السبعين :

كان دى جول يتمتع بقوة احتمال جسمانية كبيرة وبقدرة ذهنية منطقية نادرة وبذكاء حاد رفيع ويبعد نظر نافذ ، كانت تعبيراته مقتضبة ودقيقة وقاطعة في إبداء الرأى واتخاذ القرار .

كانت خطب دى جول من أقوى وأجمل ما سمع العالم بعد خطب تشرشل خلال الحرب العالمية الثانية ، أمتازت بقوة المنطق ووضوح المعنى ، وفي كثير من الأحيان فاق تشرشل في قوة الاقناع والتعبير .

في ٢٩ يناير سنة ١٩٦٠ تحدث إلى الشعب الفرنسى على شاشة التليفزيون بشأن الموقف الخطير المتدهور في الجزائر وكان حديثه هذا أقوى ما سمعه الشعب الفرنسى والعالم ، قال في الابتداء « إن كنت قد ارتديت السترة العسكرية اليوم وأنا أتحدث إليكم فذلك لكى تتبينوا بأن الجنرال دى جول هو الذى يتحدث ، وأن رئيس الدولة هو الذى يتحدث أيضاً » إذ أن دى جول كان كثيراً ما يشير إلى نفسه — حتى في مناقشات مجلس الوزراء

الفرنسى - بصيغة الشخص الثالث ، فيقول بأن دى جول يرى كذا وكذا ::
وأن دى جول قد قرر كذا وكذا . . .

كان دى جول بعيد النظر صادق البصيرة فى تصرفاته ، كان يتصرف ويحكم على الأحداث وكأنه يقرأ عن مستقبل مفتوح وقد أثبتت أحداث التاريخ صدق توقعاته ، اعترف له كل فرنسى على أى مستوى بصدق وطنيته وبترفعه عن أية مصلحة شخصية .

كان دى جول بطبيعته وبتكوينه ، زعيماً لم يكن يسعد إلا إذا رأى الجماهير من حوله بحماسة وحرارتها ، وبحرارة تلك الجماهير وبحماسة كان مؤمناً برسائلته فى خدمة بلاده وبرسالة فرنسا الحضارية فى أوروبا وفى العالم . لقد طغت شخصية دى جول على سياسى عصره فاتهموه بأنه شديد التصعب لفرنسيته ولوطنه ولكن هذا الاتهام لم يكن ليبدل إيمانه برسالة بلاده لأنها كما قال رسالة الحضارة والسلام .

قليل من الزعماء فى تاريخ هذا العالم يمكن أن يقال عنهم بأنهم قد أنقذوا بلادهم .

كان أبراهام لينكولن واحداً من هؤلاء ، وكان تشرشل زعيماً آخر ، ولكن شارل دى جول تفوق عليهما فقد أنقذ فرنسا فى حياته مرتين ، وهى ظاهرة نادرة فى تاريخ حياة البشر . دى جول هو الذى أنشأ فرنسا الحرة سنة ١٩٤٠ لكى تشترك فى الحرب بجانب الحلفاء وتقاسمهم النصر وتحفظ لفرنسا مكان مشرف بين المنتصرين وبدون دى جول ما كانت لتوجد فرنسا الحرة ، وكانت فرنسا قد أشرفت على حرب أهلية خطيرة سنة ١٩٥٨ نتيجة لأزمة الجزائر فتقدم دى جول ليتسلم زعامتها ويقودها إلى بر الأمان والسلام فهو فى المرة الأولى قد أنقذ فرنسا من المانيا النازية وفى المرة الثانية أنقذ فرنسا من نفسها .